الأصالة

مع هذا العدد ملحق خاص : رمضانيات

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

٣

رسالةٌ إسلاميّةٌ منهجيّةٌ جامعةٌ

تَصدرُ مُنْتَصفَ كُلِّ شهرٍ هجريّ
(وفي كلِّ شهرين مرّةً مؤقّتاً)

العدد الثالث : ١٥ شعبان ١٤١٣ هـ

... تَقْرَأُ في هذا العدد :

بالإضافةِ إلى عَددٍ مِن الأبوابِ الثّابتةِ
والمواضيع العلميّة الأخرى ...

طبعة ثانية

الأصالة

عَودةٌ إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَف الأمَّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العددُ الثالث

١٥ شعبان ١٤١٣ هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

تصدرُ هذه الرسالة

جمعية النور والايمان الخيرية الاسلامية

علم وخبر ١٣٠/أد

ص.ب : ١٣/٦٠٠٦ شوران

بيروت – لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للهِ، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفِرُهُ، ونَعوذُ باللّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أَعمالنا، مَن يَهدِهِ اللّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأَنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأرحام إنَّ اللّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللّهِ، وخَيرَ الهَديِ هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثَةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضَلالَةٌ، وكلَّ ضَلالةٍ في النّار .

المحتوى

رمضانيّات :

فاتحة القول ..

صعوبة البدايات ...

التحرير

قيلَ قديماً : (مَن لم تكُن بدايتُه شديدة، ما كانت نهايتُه سعيدة)؛ بمعنى أنَّ كُلَّ بدايةٍ لا بدَّ فيها من صعوباتٍ تُواجهُ أصحابَها، وحواجزَ تُعكِّرُ صَفوَ طريقهم، وإشكالاتٍ تَعترضُ مسيرَهم .. ممّا يجعلُ تلك البدايةَ شديدةً على أُولئك الأصحاب ... يُرهِقُهم الخُروجُ منها والبُعدُ عنها ...

... وهكذا نحنُ في رسالتِنا المباركةِ هذه - إن شاءَ اللّه - (**الأصالة**)، تُواجهُ صُعوباتٍ عدّةً في هذه الأعدادِ الأُوَلِ منها، نستوزعُ مِن اللّه سبحانه القُدرةَ على التخلُّص منها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

وَبَعدَ اللّهِ - سبحانه -، يَهُمُّنا جدّاً وقوفُ إخوانِنا المُسلمين مَعنا؛ احتمالاً، وصبراً، وتوجيهاً، ومشاركةً؛ لأنَّ (**الأصالة**) - **بأصالةِ منهجها** - ليست حِكراً على أحدٍ بعينِه، **وليست مُوجَّهةً نَحوَ أحدٍ بذاتِه** ...

وهُناك أمورٌ - ضمنَ تلك الصعوبات - خارجةٌ عن طَوقِ قُدرتنا واستطاعتنا؛ كمثلِ تأخُّر عددٍ من (**الأصالة**) عن مَوعِدِ صدورِه المحدَّد له؛ كما حصلَ في العدد السّابق ... وهذا أمرٌ لا يُرضينا البتَّة ... بل يشُقُّ على نفوسنا ..

علماً أنَّ ذاك العدد قد صَدَر - تقريباً - في موعده ... لكنّه وَصَلَ إلى يَدِ القارىء مُتأخِّراً بسببِ ظروفِ الشَّحن والتوزيع ... و ...

ولكنَّ سلوى نفوسِنا المُذهِبةَ عنّا أسى التّقصير، أنَّ (**الأصالة**) ليست رسالةً إخباريةً (جرائديَّةً) ترتبطُ بزمنٍ معيَّنٍ، أو تتَّصل بوقتٍ محدَّدٍ ... إنّما هي رسالةٌ منهجيّةٌ علميّةٌ دَعَويّةٌ تشملُ الزَّمَن كلَّه، وتَسَعُ - بمِنَّةِ اللّه - الدَّهرَ جميعَه .

ونحنُ نعلمُ - قبلَ ذلك كلِّه - أنَّ العدَدَ الأوَّلَ من هذه (**الأصالة**) - **أيضاً** - لم يَصِل إلى يدِ نسبةٍ كبيرةٍ من القُرّاء، حتى إنَّ الكثيرَ من إخوانِنا - في عددٍ من البلاد - لم يَقرأْهُ إلّا مُصَوَّراً !!

وهذا - أيضاً - لظروفٍ (خاصّةٍ) خارجةٍ عن طَوْقِنا، وبعيدةٍ عن يَدِنا !!

ونحنُ إذ نتكلّم بهذا الكلامِ في هذا المقام ... لا نُريدُ - به - أن يَغُضَّ إخوانُنا المسلمون السُّنِّيُّون - طلّابُ العلمِ - النّظرَ عن أخطائنا أو زلّاتِنا ... لا ... ولكنّنا نُريدُ منهم - وفّقهم المولى - الصَّبرَ علينا، واحتمالَ بعضِ ألوانِ التّقصير التي قد تبدُرُ منّا !! مع استمرارِ مدِّ جُسورِ التّعاونِ الوَدودِ، والتّواصلِ الحبيبِ؛ القائم على النُّصح والتّقويم، والنّقد والتّوجيه .

ولو أنَّ إخوانَنا القُرّاء يعلمون - حقيقةً - المراحلَ التي تسبقُ صُدورَ (**الأصالة**) ووصولَها إليهم؛ - مِن إعدادٍ، وتنضيدٍ، وإخراجٍ، وتصحيحٍ، وطباعةٍ، ومتابعةٍ - والجُهدَ المبذولَ في ذلك كلّه - ضمنَ **قُدُراتِنا المحدودةِ ... وإمكانيّاتِنا المَعدودةِ** - لأَطالوا النَّفَسَ في احتمالِ إخوانِهم، والصَّبرِ على ما قَد يظهر - منهم - أنّه تقصيرٌ أو نوعُ تقصيرٍ ...

ولكنْ ... إلى اللهِ المُشتكى ...

وها هُنا أمرٌ مهمٌّ لا بدَّ من ذِكره والتّنبيهِ عليه؛ وهو التّذكيرُ بأنْ لا يَستَبِقَ أحدٌ مِن قرّائنا الزّمَن، قافزاً فوق (صعوبة البدايات)، ناسياً التّدرُّجَ الطّبيعيَّ لسائر الشؤون والأُمور ... مُصْدِراً أحكاماً تنتُجُ عن **تسرُّعٍ في النّظر، واستعجالٍ في التصوُّر** ..

والمأمولُ من الإخوة الأحبّة - الّذينَ أفرَحَتْنا جدّاً بَهجَتُهُم بصدور (**الأصالة**)، وأسعدَتْنا كثيراً رغبتُهم باستمراريّة العطاء فيها - أنْ يَضَعوا هذه اللّفتاتِ المشارَ إليها نُصبَ أعينهم، وأنْ لا تغيبَ عنهم .. **والمؤمنُ قويٌّ بأخيه** ..

● **إخوانَنا الأحِبّة :**

ما أنْ يَصِلَ إلى أيديكم هذا العَددُ مِن (**الأصالة**) - إنْ شاءَ اللّهُ - إلّا ويكونُ شهرُ رمضانَ المباركُ قد بَدَت أنوارُه، وهلَّ هِلالُه ... لذا؛ فإنَّ إخوانكم في (**الأصالة**) قد أفرَدوا في هذا العَددِ - على كثرةِ مواضيعِهِ وأبحاثِهِ - مُلحقاً خاصّاً - داخِلَها - يبحثُ في طَرَفٍ من مُهمّات الصِّيام، وجوانبَ مِن أحكامِهِ وآدابِهِ ...

وختاماً - إخواننا في اللّه - : لعلَّ فيما سَطّرناه إجابةً على (هَمهَماتٍ) تَلجلَجَتْ فيها ألسنةُ بعضِ الأصحاب، أو (كَبَتَتْها) صُدورُ بعضِ الأحباب ...

ونحنُ - كمثلكم - عُرضةٌ للخطإِ والصَّواب ... واللّهُ المُوَفِّقُ .

﴿ ... أُولئكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُون ﴾

علي بن حسن

كثيرٌ مِن النَّاسِ - اليومَ - يعيشونَ صُوَراً مِن الرُّعبِ، والخوفِ ... والإرهابِ ... والترقُّب ... ولا يعرِفونَ (سبباً) ظاهراً لذلك كلِّه، إنَّما هو شعورٌ داخليٌّ يُراوِدُهم، سواءٌ في طريقهم وسلوكهم، أم في بيوتهم و (بُروجهم)، أم في حياتهم وَرَواحِهم ومجيئهم !!

ولو نظرَ هؤلاء نظرةً عُلويَّةً فاحصةً ... لَعَلِموا أنَّ السَّبب الرَّئيسَ في بُعدهم عن الأمنِ ... وإغراقهم في نقيضهِ هو : تَنَكُّبهُم سبيلَ الهداية، وتجنُّبهم طريقَ الالتزامِ بأحكامِ اللّهِ جلَّ شأنه :

يقولُ اللّهُ سبحانه : ﴿ الَّذينَ آمَنوا وَلَم يَلْبِسُوا إيمانَهُم بِظُلمٍ **أولئكَ لهمُ الأمنُ وهُم مُهتَدونَ** ﴾ .

فالأمنُ ... والهدايةُ ... قرينانِ ... لا يفترقانِ ... إذا زالَ أحدُهما زالَ الآخرُ ... بل إذا رقَّ أحدُهما رقَّ الآخَرُ .

فالأمنُ الحقيقيُّ ... ليسَ بكثرةِ الجيوشِ والعساكر ... وليس بوَفرةِ الحَرَس والسِّلاح ... إنَّما هو الأمنُ المنبعثُ مِن الرُّوحِ المطمئنَّة التي رضيت باللّهِ ربّاً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيّاً ورَسولاً .

فالأمنُ الحقيقيُّ - إذَن - هو « الأمنُ مِن المخاوِف، والعذابِ، والشَّقاءِ، والهدايةُ إلى الصراطِ المستقيم .

فإنْ كانوا لم يَلبِسوا إيمانَهم بظلمٍ مُطلقاً؛ لا بشركٍ ولا بمعاصٍ : حَصَلَ لهم الأمنُ التّامُّ، والهدايةُ التّامّةُ .

وإنْ كانوا لم يَلبِسوا إيمانَهم بالشرك وحدَه، لكنَّهم يعملون السّيِّئات، حصلَ لهم أصلُ الهدايةِ، وأصلُ الأمنِ، وإنْ لم يَحصُل لهم كمالُهُما .

ومفهومُ الآيةِ الكريمةِ أنَّ الذينَ لم يَحصُل لهم الأمران، لم يَحصُل لهم هدايةٌ، ولا أمنٌ، بل حظُّهم الضَّلالُ والشَّقاءُ »[1].

وهذه الآيةُ العظيمةُ تُبيِّنُ لنا الفهمَ الواقعيَّ لقوله جلَّ وعلا : ﴿ سَنُلقي في قلوبِ الَّذينَ كَفَروا الرُّعبَ بما أشرَكُوا باللَّهِ ما لم يُنزِّل به سُلطاناً ... ﴾ .

هذا في الدُّنيا، ولو كانت لهم البُروجُ المُشيَّدةُ، والقِلاع المُحصَّنة، والأسلحة، والجُنْدُ، والهَيمنة ، والجَبَروت ...

وأمّا في الآخرة : ﴿ ... وَمَأواهُمُ النّارُ وبِئسَ مَثوى الظّالمين ﴾ .

والوَعدُ الحقُّ[2] مِن الإله الحقِّ لأهلِ التزامِ الحقِّ بالأمنِ الحقِّ :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا مِنكُم وَعَمِلوا الصّالِحاتِ لَيستَخلِفنَّهُم في الأرضِ كما استَخلَفَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لهُم دينَهُمُ الَّذي ارتَضى لهم وَلَيُبَدِّلنَّهم مِن بَعدِ خَوفِهم أَمناً يَعبُدونَني لا يُشرِكونَ بي شيئاً ﴾ ...

... ﴿ فَأَيُّ الفَريقَينِ أحقُّ بالأَمنِ إنْ كُنتُم تَعلَمُون ﴾ :

أهلُ الهدايةِ واليَقين ...

أم أهلُ الفسادِ وأولياءُ المشركين !؟

أم أذنابهُم مِن المُتأَكِّلين وأشباهِ المُنافقين !؟

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (٢/٤٢٦) .

(٢) وفي رسالتي « وَعد التَّمكين بين يقين المؤمنين وكَيْد الكافرين » تفصيلٌ موسَّعٌ حولَ هذه القضيّة .

الكَلِمُ الطَّيِّبُ (١)

اشتداد الفِتَن على مرِّ الزَّمن

مشهور بن حسن

إنَّ قضيَّة الفِتَن التي تُصيبُ المُؤمنَ ويُبتَلى بها، قضيَّةٌ مهمَّةٌ جدّاً، ذاتُ فروعٍ مُتشعِّبة أخذت نصيباً وافراً مِن نُصوص الكتاب والسُّنَّة؛ تنبيهاً للمؤمنين، وتثبيتاً لقلوبهم .

ومن فُروعِ هذه القضية الجليلة البيانُ النَّبويُّ، والتحذيرُ المحمَّديُّ؛ مِن أنَّ الفِتَن تَشتدُّ وتَمتدُّ على مُرورِ الزَّمن .

وفي ذلك أحاديثُ عِدَّةٌ؛ منها :

● عن عبدالرَّحمن بن عبد ربِّ الكعبة قال : قال عبدالله بن عمرو بن العاص : قال : قال رسول الله ﷺ :

« إنَّهُ لم يكُن نبيٌّ قبلي إلَّا كانَ حقّاً عليه أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خيرِ ما يعلمُهُ لهم، ويُنذرَهُم شرَّ ما يعلمُهُ لهم، وإنَّ أُمَّتَكُم هذه جُعِلَ عافيَتُها في أوَّلها، وسيُصيبُ آخِرَها بلاءٌ وأمورٌ تُنكرونَها، وتجيء فتنةٌ فيُرَقِّقُ بعضُها بعضاً، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمنُ : هذه مُهلِكَتي، ثم تنكشفُ وتجيءُ الفتنةُ فيقول المؤمن : هذه هذه، فمنْ أحبَّ أن يُزَحزَحَ عن النَّار، ويدخل الجنَّة فلتأته منيَّتهُ وهو يُؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى النَّاس الذي يحبُّ أنْ يؤتى إليه، ومن بايعَ إماماً فأعطاهُ صفقَةَ يَده وثمرة قلبه، فليُطِعهُ إنْ استطاعَ، فإنْ جاءَ آخَرُ يُنازعهُ فاضربوا عُنُقَ الآخر » .

فدنا عبدالرَّحمن (راوي الحديث عن الصحابي) من عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (صحابي الحديث) فقال : أنشدك الله آنت سمعتَ هذا من رسول الله

ﷺ؟ فأهوى عبدالله رضيَ الله عنه إلى أُذنيه وقلبه بيديه وقال : (سَمِعَتْهُ أُذناي ووعاه قلبي)(١).

نستفيدُ من هذا الحديث :

□ اشتداد الفتن على مرِّ الزّمن، وهو مأخوذٌ من قوله ﷺ : « وإنَّ أُمّتكُم هذه جعلَ عافيتها في أوّلها وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنة فَيُرَقِّقُ بعضها بعضاً » أي : يصيِّر بعضها بعضاً رقيقاً، أي : خفيفاً لعظم ما بعده، فالثّاني يجعل الأوَّل رقيقاً، وهكذا .

□ ونستفيد مِن استحلاف عبدالرّحمن بن عبد ربّ الكعبة لعبدالله بن عمرو : حِرْصَ السّلف - رضوان الله عليهم - على التثبُّت في رواية أحاديث رسول الله ﷺ، وحرصَهم أيضاً على التثبُّت من تلقّي الأخبار، وعدم تكبُّرهم وأَنَفَتِهم على مَن يطلب منهم ذلك .

● وعن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحَجّاج، فقال : اِصبِروا، فإنّه لا يأتي عليكم زمان إلّا والذي بعده أشرُّ منهُ حتى تلقوا ربَّكم، سمعته من نبيِّكُم ﷺ (٢).

وقد استشكل هذا الإطلاقُ على بعض النّاس، وذلك أنَّ بعض الأزمنة تكون في الشّر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلّا زمن عمر بن عبدالعزيز - وهو بعد زمن الحجاج بيسير - لكفى؛ وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبدالعزيز .

وقد حمل الحسن البصريُّ الحديثَ على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن

---

(١) « صحيح مسلم » - كتاب الإمارة - (١٢ / ٢٣٢ - ٢٣٤ - بشرح النووي) .

(٢) « صحيح البخاري » - كتاب الفتن - مع « فتح الباري » (١٣ / ١٩ - ٢٠) .

عبدالعزيز بعد الحجاج فقال : **لا بدَّ للنَّاس من تنفيس .**

وأجاب بعضهم : أنَّ المرادَ بالتَّفضيل تفضيلُ مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثيرٌ من الصحابة من الأحياء، وفي عصر عمر بن عبدالعزيز انقرضوا، والزَّمان الذي فيه الصَّحابة خيرٌ من الزَّمان الذي بعدَه لقوله ﷺ : « خير الناس قرني »[1] .

وقال الحافظ ابن حجر : ثم وجدت عن عبدالله بن مسعود التَّصريحَ بالمراد - وهو أولى بالاتِّباع -، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال : سمعت عبدالله بن مسعود يقول : « لا يأتي عليكم يوم إلّا وهو شرٌّ مِنَ اليومِ الذي كان قبله حتى تقوم السَّاعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلّا وهو أقلُّ علماً مِن اليوم الذي مَضى قبله، **فإذا ذهب العلماء** استوى النَّاس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون » .

واستشكلوا أيضاً زمان عيسى ابن مريم بعد زمان الدجّال، فقال الحافظ ابن حجر : ويُحتمل أن يكون المراد بالأزمنة؛ ما قبل وجود العلامات العِظام كالدجّال وما بعده، فيكون المراد بالأزمنة المتفاضلة في الشَّرِّ في زمن الحجّاج فما بعده إلى زمن الدجّال، وأمَّا زمن عيسى عليه السَّلام فله حكم مستأنف، والله أعلم .

ويُحتمل أن يكون المرادُ بالأزمنةِ المذكورةِ أزمنةَ الصحابةِ، بناءً على أنَّهم هم المخَاطَبون بذلك، فيختص بهم، لكن الصحابي رضي الله عنه فَهِمَ التَّعميم، فلذلك أجاب من شكى إليه الحجّاج بذلك وأمرهم بالصَّبر[2].

---

(١) متفق عليه .

(٢) « فتح الباري » (م:١٣ ص:٢١) مع حذف بعض العبارات وزيادة اليسير عليها .

البلاء بين الدفع والاستدعاء

عبدالله الصالح العُبَيلان

تَتميماً لوجوهِ الأدلَّةِ في وجوبِ دَفْع المؤمنِ الأذى عن نفسهِ، بدفع مُقدَّماته وما يَجلبُهُ، أقولُ :

خامساً : ثبت في « الصحيحين » من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيباً، قال : « أيها الناس لا تتمنَّوا لقاء العدوّ وسَلوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبِروا ... » الحديث .

قال الحافظ ابنُ حجر : قال ابن بطّال : حِكمة النَّهي أنَّ المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقد قال الصدِّيق : « لأن أُعافى فأَشكر أحبّ إليّ من أن أُبتَلى فأصبر »، وقال غيره : إنَّما نهى عن تمنِّي لقاء العدوّ لما فيه من صورة الإعجاب والاتّكال على النفوس والوثوق بالقوّة وقلَّة الاهتمام بالعدوّ، وكل ذلك يُباين الاحتياط والأخذ بالحزم، وقيل : يُحمل النهي على ما إذا وقع الشكُّ في المصلحة أو حصولُ الضرر، وإلّا فالقتال فضيلة وطاعة، ويؤيِّد الأوّلَ تعقيبُ النَّهي بقوله : « ... وسَلوا الله العافيَة » .

وأخرج سعيد بن منصور من طريق يحيى بن أبي كثير مرسلاً : « لا تمنَّوا لقاء العدوّ فإنَّكم لا تدرون عسى أن تُبتَلَوْا بهم » .

وقال ابنُ دقيق العيد : لـمّا كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور المحقَّقة لم يُؤمَن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي، فيكره التمني لذلك، ولما فيه - لو وقع - من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه ثم أمر بالصَّبر عند وقوع

الحقيقة[1]. ا.هـ

سادساً : قال تعالى : ﴿ وكفى اللَّهُ المؤمنين القتالَ ﴾ وهذا يدلُّ بأن عدم احتياج المؤمنين للقتال – لكفاية اللَّه تعالى – يُعتبر من نعمة اللَّه على المؤمنين، والقتال فيه أذى ونَصَبٌ وألم، فلو كان تعريض المسلم نفسه للابتلاء والأذى مطلوباً لذاته لما كان عدم الاحتياج إليه مما يَمُنُّ اللَّهُ به على المؤمنين .

سابعاً : إيذاء أهل الباطل للمؤمنين غير مطلوب قطعاً، بل هو من سيئات أهل الباطل، لأنَّه إيذاء لأهل الحق؛ فكيف يسوغ تسليم المسلم نفسه للمبطل يؤذيه ويُهينه ويذله !؟ ألا يكون في هذا التسليم إعانة على وقوع ما يسخط اللَّه تعالى، وإلقاءٌ للنَّفس في التَّهلكة والمهانة والذلَّة ؟

وكل هذا لا يجوز .

ثامناً : أذنَ اللَّه للمكره أن يقول كلمة الكفر تخليصاً لنفسه من الأذى والتَّلف، وهذا يدل على إباحة دفع الأذى، وأنَّ للمسلم أن لا يساعد على وقوعه عليه .

تاسعاً : قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : ومن مناقب عبداللَّه بن حذافة ما أخرجه البيهقي، من طريق ضرار بن عمرو، عن أبي رافع قال : وجَّه عمر جيشاً إلى الرّوم وفيهم عبداللَّه ابن حذافة السَّهمي فأسروه فقال له ملك الروم : تنصَّر أشركْكَ في مُلكي فأبى، فأمر به فصلب، وأمر برميه بالسهام فلم يجزع، فأُنزل، وأمر بِقِدْرٍ فصب فيها الماء وأغلي عليه وأمر بإلقاء أسيرٍ فيها فإذا عظامُهُ تلوح، فأمر بإلقائه إن لم يتنصَّر، فلما ذهبوا به بكى، قال : رُدُّوه، فقال : لِمَ بكيت ؟ قال : تمنَّيت أنَّ لي مئة نفس تلقى هكذا في اللَّه، فعجب، فقال : قَبِّل رأسي وأنا أُخلي عنك، فقال : وعن جميع أسارى المسلمين، قال : نعم، فقبَّل رأسه فخلّى بينهم، فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه .

وأخرج ابن عساكر لهذه القصَّة شاهداً من حديث ابن عباس موصولاً، وآخر من « فوائد

(١) « فتح الباري » (٦/١٥٦،١٥٧) .

هشام بن عثمان » من مرسل الزهري[1]. أ.هـ.

عاشراً : هاجر المسلمون من مكة إلى الحبشة فراراً بدينهم وتخلُّصاً من أذى قريش، فدل ذلك على جواز دفع البلاء والأذى وعدم الاستسلام له بحجة تحمُّل الأذى في سبيل الإسلام، لأنَّ نفس المسلم ليست مُلكَه وإنما هي مُلكٌ لله، فلا يجوز إتلافها بلا فائدة تعود إلى الإسلام، وليس من الفائدة أن يقولَ النّاسُ : ما أثبتَ هذا الدّاعي ! وأجرأه على تحمل الأذى في سبيل الله ! بل قد يكون تحمُّلُ الأذى بهذا الدافع ولهذا العِوَضِ رياءً وطلباً للسمعة والجاه عند النّاس، وهذا لا يجوز وهو مُحبِطٌ للعمل .

الحادية عشرة : أنَّ رسول الله ﷺ لم ير بأساً من عون عمِّه أبي طالب - وكان على دين قومِهِ - في دفع ما يستطيعه من أذى قريش عنه، لأنَّه لم يكن في عشيرته وأعمامه حامٍ له ولا ذابٌّ عنه غيره .

ووجه الدلالة في هذا الخبر أنَّ رسول الله ﷺ رضي بحماية عمه أبي طالب له ودفعه الأذى عنه، فدل ذلك على جواز دفع البلاء والأذى عن الدّاعي ولو عن طريق حماية المشرك، وعدم استحباب تسليم المسلم نفسه لأهل الباطل .

وكذلك فعل أصحاب رسول الله الذين هاجروا إلى الحبشة فعندما رجعوا إلى مكّة لم يدخل منهم أحد إلّا بِجِوَارٍ أو مُتخفيّاً .

ويجب أن يُعلم هنا أنَّ الداعي المسلم في رغبته وسعيه لدفع الأذى عن نفسه إنَّما يقصد التمكين وإيجاد الجوّ المناسب لدعوته إلى الله؛ يُوضح ذلك ما صَحَّ أنَّ رسول الله ﷺ كان يخرج إلى القبائل أيّام المواسم ويدعوهم إلى الإسلام ويقول : « مَن رجل يحملُني إلى قومه فيمنعني حتى أبلّغ رسالة ربِّي، فإن قريشاً قد منعوني أن أُبلغ رسالة ربِّي »[2].

(١) « الإصابة » (٦/٥٦) لابن حجر .

(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٥)، وأبو داود (٣٧٣٤)، وابن ماجه (٢٠١)، وأحمد (٣/٣٩٠) عن جابر، بسندٍ صحيح .

الثانية عشرة : قال الإمامُ ابن القيم رحمه الله في « أعلام الموقعين » (٣/١٥٠) : وأنّه تعالى نهى المؤمنين في مكّة عن الانتصار باليد، وأمرهم بالعفو والصّفح، لئلّا يكونَ انتصارُهم ذريعةً إلى وقوع ما هو أعظمُ مفسدةً من مفسدةِ الإغضاءِ واحتمال الضّيم، ومصلحةُ حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحةٌ على مصلحة الانتصار والمقابلة . أ.هـ.

خلاصة القول في استدعاء البلاء ودفعه :

ومن هذا العرضِ الذي قدّمته والنصوصِ التي ذكرتُها من القرآن الكريم والسنّة الشريفة، والسّوابق القديمة في سيرة النّبي ﷺ وأصحابه الكرام - وهم أفقه المسلمين بشريعة الإسلام - يتبيّن لنا بكل وضوح ما يأتي :

أولاً : الأذى أو الضّرر الذي يلحق الدّاعي المسلم هو بمنزلة الأمراض والمصائب التي تنزل على الإنسان، فكما أنّه لا يرغب فيها ولا يريد إيقاعها على نفسه ولا يقدح ذلك في إيمانه؛ فكذلك لا يَقْدَحُ في إيمانه عدمُ محبّته ولا رغبته في وقوع أذى أهل الباطل عليه، وعدم استدعاء الضّرر على نفسه .

ثانياً : أنّ احتمال وقوع الأذى والضّرر به لا يقعد به عن دعوته إلى الله، ولكن الداعي لا يستدعي الأذى لنفسه بل يعمل على عدم وقوعه، وإذا وقع عمل على دفعه بكل وسيلة **مشروعة** في ضوء ما جاء في القرآن والسنّة .

ثالثاً : إذا وقع الضّرر والأذى على الداعية المسلم بالرغم من التزامه بالسير المشروع في الدعوة إلى الله تعالى فعليه أن يستعين بالله ويصبر ويحتسب، ويصبر الصّبر الجميل، وليعلم أنّ الأمور كلها بيد الله تعالى، وأنّ ما شاءَ الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله .

وفي الختام، اللهَ أسألُ أن يصلح أحوال المسلمين وأن يرزقهم الفقه في دينه والسّير على نهج نبيّه ﷺ وصحابته الكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

اتِّباعُ السُّبُلِ

محمد بن موسى بن نصر

لقد أرسلَ اللّه نبيّه وصفيّه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحقّ ليُظهرَهُ على الدِّين كلِّه، فأرسلَهُ للنَّاس كافَّة بشيراً ونَذيراً، فأقامَ الحُجَّة وأظهرَ المحجَّة؛ ليهلك مَن هلكَ عن بيّنة، ويحيى من حَيّ عن بيّنة، وترك الأُمَّة على بيضاء نقيّة ليلُها كنهارِها، لا يَزيغُ عنها إلّا هالك، ولا يتنكّبُها إلّا ضال، فلم يترك الأُمَّة سبهللاً تتخبّط خَبطَ عَشواء لا تدري الحقَّ مِن الباطل ولا الظُّلمات مِن النُّور، بل رسمَ لها السَّبيلَ ووضَّحَ لها الصِّراطَ المستقيم كما في قوله تعالى : ﴿ وَأنَّ هذا صِراطي مُستقيماً فاتَّبِعوهُ ولا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فتفرّقَ بكُم عَن سبيلهِ ذلكُم وصَّاكُم بهِ لعلَّكم تتَّقون ﴾ .

ولذلك - وتوضيحاً عمليّاً لهذا المنهج وهذا السبيل - خطَّ رسول اللّه ﷺ خطّاً مستقيماً، وخطَّ خطوطاً عن اليمين وعن الشمال، ثم تلا قول اللّه : ﴿ وأنَّ هذا صِراطي مُستقيماً ... ﴾ ثم وضعَ يده على الخط الأوسط المستقيم وقال : « هذا سبيل اللّه، **وهذه سُبل**، على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه »[1].

فسبيل اللّه واحد لا يتعدَّد، وسُبل شياطين الإنس والجان كثيرة متنوعة؛ تلتقي جميعاً وتَصُبُّ في مستنقعٍ واحدٍ وإن تعدَّدت أشكالها وألوانها ويافطاتها، فالكفر ملّة واحدة مهما تلون وتشكل ولبس مُسوح الضأن، ولما ذكر اللّهُ النّورَ - الذي هو رمز الحق - أفرده ووحّده، ولما ذكر الظلمات - التي هي رمز الشر وشعاره - جمعه، ألم تسمعوا قول اللّه : ﴿ الحمدُ للّهِ الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وجعلَ **الظُّلماتِ والنُّورَ** ثمّ الَّذينَ كَفَروا بِربِّهم

(١) رواه النسائي وأحمد والدارمي، بسند حسّنه شيخُنا في تعليقه على « المشكاة » (١٦٦) .

يَعدِلونَ ﴾ .

والنُّورُ في الآية هو الصراطُ المستقيمُ الذي أُمر المسلم في نهاره وليله، بل فُرض عليه فرضاً أن يسأل ربَّه الهداية إليه والاستقامة عليه حتى يلقاه، لأنَّ الانحراف عنه يمنة أو يسرة معناه الوقوع في ﴿ السُّبل ﴾ التي أساسها ونبعها سبيلان : سبيل المغضوب عليهم (وهم اليهود) وسبيل الضالين (وهم النصارى) :

قال تعالى في أُم القرآن والسَّبع المثاني : ﴿ اِهدِنا الصِّراطَ المُستقيمَ صِراطَ الَّذينَ أنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضوبِ عَلَيهِم ولا الضَّالِّين ﴾ .

وبيَّنَ منازلَ الَّذين أنعمَ عليهم فقال : ﴿ ومَن يُطِعِ اللَّه والرَّسولَ فأولئكَ معَ الَّذينَ أنعمَ اللَّهُ عليهم مِّن النَّبيِّين والصدِّيقين والشهداءِ والصَّالحينَ وحَسُنَ أُولئكَ رَفيقاً ﴾ .

فمن أطاعَ اللَّه والرَّسول حُشر مع هؤلاءِ أجمعين، جمعنا اللَّه بهم وحشرنا معهم بمنِّه وكرمِه ورحمتِه .

وإذا تأملنا قول الرَّسول ﷺ : « على كلِّ سبيلٍ شيطانٌ يدعو لنفسه »، أيقنَّا ما عليه أئمَّةُ الضَّلال ورؤوسُ الكفر من دعوة محمومة لتعظيم أنفسهم وترسيخ مناهجهم الفاسدة وأفكارهم الباطلة كما أخبر اللَّه عنهم : ﴿ وجَعَلْناهُم أئمَّةً يَدعونَ إلى النَّار ويومَ القيامةِ لا يُنْصَرُونَ وأتبعناهُم في هذه الدُّنيا لعنة وَيومَ القيامةِ هُم مِن المَقبوحين ﴾. ووصفهم الرَّسول ﷺ فقال : « دعاةٌ على أبواب جهنَّم مَن أطاعهم قذفوه في النَّار »، قالوا : : منا يا رسول اللَّه ؟ قال : « إنَّهم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنَتِنا » . متفق عليه .

وقد كَثُروا في هذا الزَّمن حتى ملأوا السَّهلَ والجبل لا كثَّرهم اللَّه .

فالثَّباتَ الثَّباتَ يا دعاة الإسلام على الصِّراط المستقيم المتمثِّل في كتاب اللَّه وسنَّة رسوله وما كان عليه سلف هذه الأُمَّة من الإيمان والعلم والعمل الصَّالح والسُّلوك .

ومزيداً من مواصلة الجهد، والبراءَةُ مِن أئمَّةِ الكفر حتى يمكِّن اللَّه للمؤمنين في الأرض، ويَأْذَنَ - سبحانه - ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنَصرِ اللَّه، وما ذلك على اللَّه بعزيز .

مباحث عقيدية

الشِّركُ ... بَينَ القُبور ... والقُصُور !!

علي بن حسن

إنَّ الشِّرك باللّهِ سبحانه شَرَكٌ شيطانيٌّ هائلٌ لا يَدَعُ أحداً إلّا ويقتربُ منه ويدعوهُ إليه ... مُحاوِلاً تغريرَه أو الإيقاعَ به في شتّى السُّبل وأنواعِ الطرائق .

لذا، فقد حذَّر ربُّنا سبحانه مِن الشِّرك في آياتٍ عدَّةٍ من كتابه، فقال : ﴿ لَئِن أشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكونَنَّ مِن الخاسِرين ﴾ ، وقال : ﴿ قُل إنَّما أُمِرتُ أنْ أعبُدَ اللّهَ ولا أُشركَ به ﴾ ، وقال : ﴿ إنَّ الشِّركَ لَظُلمٌ عَظيمٌ ﴾ .

... وهكذا - أيضاً - في مواضعَ قرآنيّةٍ كثيرةٍ .

وليس من شكٍّ أنَّ هذا الشِّرك دَرَكاتٌ متفاوتةٌ فيما بينَها، وهي - جميعاً - لا يجوزُ قُربُها أو التلبُّس بها، ويدلُّ على ذلك آياتٌ عدَّةٌ وَرَدَ فيها تنكيرُ لفظة (شيء) بما يُفيد شمولَها وعمومَها، كمثل قولهِ سبحانه : ﴿ وَإذْ بَوَّأنا لإبراهيمَ مَكانَ البيتِ أنْ لا تُشرِكَ بي شيئاً ﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ قُل تَعالَوْا أتْلُ ما حرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أنْ لا تُشرِكوا بِهِ شيئاً ﴾ .

بل كان مِن صِفَةِ الناجين في آية التَّمكين : ﴿... يَعبدونَني لا يُشرِكونَ بي شيئاً ﴾ .

وعلى ضوءِ ما سبقَ؛ فإنَّ الواجبَ المُحتَّم على كُلِّ مسلمٍ الحَذَرُ مِن الشِّرك على تنوُّع مراتبهِ، وتعدُّد دَرَكاتهِ، حتى لا يقعَ (بشيء) منه .

أمّا الدّاعيةُ المسلم[1] فإنَّ عليه مُهِمَّةً أعلى وأرفعَ، وأشدَّ وأعظمَ، ألا وهي - مع الحذَرِ - التحذيرُ ... والدَّعوةُ والإنذارُ ... ﴿ قُل هذه سَبيلي أدعوا إلى اللّهِ على بَصيرةٍ أنا وَمَن اتَّبعني وسُبحانَ اللّهِ وما أنا مِن المُشركين ﴾ .

(١) والأصلُ في كُلِّ مسلم أن يكون داعيةً إلى ربّه على قَدْر جُهدهِ وعلمِه .

فالتسبيحُ هنا - في آخر الآية - تنزيهٌ للّهِ جلّ وعلا عن كلّ ألوان النّقص والشّرك، ثم جاء التّوكيد الأكيدُ مِن صاحبِ (السّبيل) براءةً من المشركين، وولاءً للمؤمنين ...

وعليه، فإنَّ حَصرَ دعوةِ التّحذير مِن الشّرك في صُورةٍ ما - ولو كانت في ظاهرِها شديدةَ الأثَرِ، عَظيمةَ الشأن - ممّا ينبغي على الدّاعية المسلم تجنُّبُ الوقوع بهِ، حتى لا يَقصُر دعوتَه على تحذيرٍ من الشّرك في (شيء) دون (شيء آخر) !!

ثُمّ إنَّ تقديرَ شدَّةِ بأسِ نوعٍ من الشركِ دونَ غيره أمرٌ عائدٌ إلى الشّرعِ كتاباً وسُنَّةً، وليس إلى العقلِ، أو (الفكر)، أو الرأي، أو الهوى، أو العاطفة، أو الحماسة !!

ولقد حذَّر رسولُ الله ﷺ مِن أنواعِ شِركيَّةٍ كثيرةٍ، فكان من أهمِّها وأعظمِها قولُه ﷺ : « لا تقومُ السّاعةُ حتى تلحقَ قبائلُ مِن أُمّتي بالمُشركين، وحتى تُعبد الأوثان ... »[1].

بل إنَّ من أواخِرِ ما تلفَّظ به رسولُ الله ﷺ التّحذيرَ من اتِّخاذِ القبورِ مساجدَ، ولَعْنَ اليهودِ؛ الفاعلين لذلك؛ تنبيهاً للأُمّة، وتحذيراً من مُشابهةِ إخوانِ القردةِ والخنازير !

... ومعَ ذلك يأتي بعضُ الدُّعاة - الذين نحسبهم مُخلصين إن شاءَ الله - فيُهَوِّنونَ مِن هذا الأنواعِ الشركيّة، قائلين : (أنتم (!) تُحذِّرونَ مِن شرك القبور .. وتتركون شِركَ القصور !!)، ويقولُ بعضٌ آخر منهم : (هذا شِركٌ شَعبيٌّ !!)، ويصفُه ثالثٌ بقوله : (هذا شركٌ ساذجٌ !!) أو : (هذا شركٌ قَديمٌ !!) !!

وهي - جميعاً - كلماتٌ غالطةٌ بعيدةٌ عن الصّواب، فالشِّركُ شِركٌ، سواءٌ منه شِركُ **الطّواغيتِ الأرضيّين الذين أقصَوا كتابَ اللّهِ عن الحُكم بين النّاس** ... أم شرك أولئك الخُرافيِّين الطوّافين بالقبور، والمُتّخذينَ مِن دونِ الله أنداداً ... أم شِرك أولئك النّاس الذين لم يعرِفوا صفاءَ التّوحيد، ونقاءَ العقيدةِ، فوَقعوا بما يُضادُّ ذلك مِن أوحال الشّرك ... وعَفَنِ الكُفر - عياذاً بالله - .

فالواجبُ على الدُّعاة إلى اللّهِ عَدَمُ التّهوينِ من أمرِ أيٍّ من هذه الأنواع، والدَّعوةُ إلى التحذيرِ منها جميعاً بحسب الوُسعِ والقُدرةِ، والعلم والمعرفةِ، والنَّظرُ إلى ما يترتَّب على هذا أو ذلك مِن مفاسدَ حقيقيّة وواقعيّة ...

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، عن ثوبان بسندٍ صحيح .

فالشركُ الواقعُ في عمومِ النّاس، لا يقلُّ خطراً وأثراً عن الشّرك الواقع في الّذين يحكُمون بغير ما أنزلَ الله .. إذْ كلا الطّائفتين - في حقيقة الامر - ممّن لا يحكمون بما أنزل الله !! بل كيف يُحَذِّرُ مِن شِركِ غيرِه مَن هو نَفسُه مُتَلبِّسٌ بالشّرك !!

ولا بُدَّ - خِتاماً - مِن سياقِ سُؤالٍ وُجِّهَ إلى سماحة الشيخ العلّامة عبدالعزيز بن باز يُلقي جوانبَ مِن الضوءِ العلميِّ على هذه المسألةِ المُهمَّةِ :

قال السّائلُ : هناك من النّاس مَن يقولُ : أنتُم تُضيِّعون أوقاتكم في بيانِ **الشّرك القديم**؛ وهو التّوسُّل بالقبور، والاستغاثة فيهم، وتنسون الشركَ الحديثَ؛ شرك الحاكميّة، أو شرك الحكّام، وأولى - عندهم - الاشتغالُ بتكفير الحكّام، والعَمَل على الخُروج عليهم مِن العمل في الدّعوة في هذه الأيام، فما قولُكم في هذا ؟!

فقال الشيخُ - حفظه الله ونَفعَ به - :

« **هذا غَلَطٌ، وهم مساكينُ**، فالأَوْلى تصحيحُ عقائد النّاس، وتبصيرُهم، والتبيانُ لهم حقيقةَ الشرك والكُفر؛ مِن جهةِ الوثنية، ومِن جهةِ الشيوعيّة، ومِن جهةِ الإباحيّة .

أمّا قولُهم بالخروجِ على السّلاطين؛ فهو من شأن الخوارج والمعتزلة، **والخروجُ ليس فيه غيرُ القتلِ والفساد، يَقتُلون ويُقتَلون، فهم يُبيدونَ أنفُسَهم، ويُبيدون الدّعوة، وهذا فيه فسادٌ عظيمٌ** »[1] .

أقول : نَعَم؛ كثيرٌ من الحُكّام ليسوا (سلاطين)، ولا يُعامَلون وَفقَ الاصطلاحاتِ الشرعيّة الإسلاميّة كـ (الخروج) أو غير ذلك من أمثاله ...

ولكنْ ... لينظرْ أولئك المتحمّسون إلى النتيجةِ السوداءِ القاتمةِ التي حذّر منها الشيخُ ... لِيَرَوْا أنّها مِن حيثُ المآلُ واحدةٌ ... فسائرُ المآسي الّتي أصابَت الأُمّة في جَذْرِها كانت نتيجة التهوُّر ... **والمواجهةِ المتعجِّلةِ** ... والحماسةِ الفارغةِ ... بعيداً عن الدّعوةِ الحقّة، والمنهج الصّادق .

ومَن رأى العبرةَ بأخيهِ ... فَلْيَعْتَبِرْ !!

(١) « فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله » (ص:٢٠٢-٢٠٣) عبدالرحمن عبدالخالق .

الشيخ محمد نسيب الرفاعي

صفحة دعوية طويت؟!

محمد إبراهيم شقرة

ليس يسيراً على امرىءٍ -يلوذُ قلبه في الحبِّ، بحبِّ مُحِبٍّ، يرى في حبِّه الجمّ حبّاً لا يكافئُه بحبِّه حبّاً، إلّا أنْ يصلَه بحبٍّ أوفرَ منه حظّاً في الوفاءِ لحبٍّ يجدُرُ بكلّ محبٍّ واصلٍ مُستودَعَه بقلوبِ مَن وافَوا بحبِّها الدَّاهق حبَّ الملأِ الأعلى في غير منٍّ ولا أذى؛ « إذا أحبَّ اللَّهُ عبداً نادى جبريل : إنَّ اللَّه يحبُّ فلاناً فأحبَّه، فينادي في السماء، ثمَّ تنزل له المحبَّة في الأرض، فذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنوا وعملوا الصَّالحات سيجعلُ لهم الرَّحمن ودّاً ﴾(١) - أن يكتب بقلم الحبِّ عامداً، بما يمليه عليه حبُّ من يكتب عنه - حبّاً ليس في طوقه أن يُدنيَ منه حبّه ذاك، إلّا أن يُحيطَ ببواعثِ ذلك الحبِّ الرَّاجية بمثله، أن يصيبَ شيئاً منه يوفّيه به بعض حقِّه، في حياته أو بعد موته، ممَّا قد يكون محبُّوه جميعاً قد علموه، ومثلهُم في ذلك من خاصموه؛ إمَّا بتأويل اجتهاديٍّ خفيٍّ، وإمَّا بنظر متسرِّع في مسألة علميَّةٍ، وأما بحسد حاطبٍ عاجله به ظنُّه المستريب، على ما حباه اللَّه، من خِلالٍ زكيَّةٍ، وفضائل عليَّة، وصفاتٍ بهيَّة .

فإن كان على مِثل ما ذكرنا، فهو حريٌّ بأقلام وفيَّة، ترقم حروفَها له في سطورٍ تنبض بالحبِّ الماثل في عيونٍ باكيةٍ حبَّه الراحل، الماكث فيها من بعد موته، بدموعٍ تترقرق بها خَلَجاتُ القلوبِ النَّديَّة بحبِّها إيَّاه، تُصعدُها إلى الجفونِ الوادعة، بمثل حب تلك القلوب، نائيةً بذاتها عن كلِّ ما يُكدِّر صفو حُزنها، الموثوق بجلال صفاءِ الموت، الذي يُغشّي ذلك

(١) حديثٌ صحيحٌ ، رواه الترمذي عن أبي هريرة .

الوجهَ المطمئنَّ إلى رحمة الله سبحانه وقضائه فيه، فرحم الله أبا غزوان .

والموت « هادم اللذات مفرّقُ الجماعاتِ » ليس يقوى على تبديدِ شملِ المودّات اللّابثة في قلوبِ النّاس، تُؤْوي إليها مودّاتِ أجيالٍ، قادّةٍ في صدر المستقبل، ترقبُ أن يُؤْذنَ لها أن تظهرَ في الحياة، كلّما بدا منها جيلٌ أخذ من الذي قبله مودّة أفضى بها إلى بابِ مودّاتٍ مُشْرَعٍ إلى تواليفَ جادَت بها قرائحُ أنعمَ الله عليها بالعلم، فبرّت به وفيه، فأَركض حِمامُ الموت في جسومهم عزمه، فأسرعَت أرواحهُم إلى الملأِ الأعلى لتجد فيهم من الوفاء والثناء والإحسان ما لم يكن لها في الحياة، إلّا فيمن كان على مثل ما كانت عليه، تنعم مستبشرةً بما رأَت من موعود الله لها، تتناجى بِصَفْتِها البرزخيّ : « الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنَهتدي لولا أن هدانا الله »، ناظرةً في رُقبى عافية، وأمنٍ، وفرحٍ، يومَ الفزع الأكبر، ﴿ حتى إذا جاءُوها وفتحت أبوابها . وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ .

ونحسب - ولا نتألّى على الله، إحساناً للظّنّ به سبحانه - أن الشيخ محمد نسيب الرفاعي رحمه الله قد ارتحل عنا، يُدفيءُ صدرَه ظنٌّ بالله، مثلُه من إخوانه، ومحبّيه، وتلامذته الذين عرفوا فضله، فأعجزهم عن مثله، أو عن شيءٍ من مثله في حياته، فأمّلوا أنفسهم أن يُنيلوها شيئاً من مثله، وهم يُصَلُّون عليه، في صدق وإخلاص بالدعاء والتضرُّع، أو وهم يحملونه على أعناقهم في شوقٍ أن يَسمعوا له حسّاً بكرامةٍ !! - وهم على مثل اليقين أنّهم لن يسمعوه - وقد كان أحقَّ به وأهلَه، لو كان في ذلك شيءٌ أن يكون، لا من الذين آوَوا إلى مكانس إبليس وجنده، وهو الذي كان قبل ساعات قليلة حرباً عليهم لا هوادة فيها، فقد علمت الأُمّة ما علمت من شدّته العادلة فيهم، وهو الذي كان له منهم حظٌّ وافرٌ قبل أن تزولَ عن قلبه غشاوةُ زَيْغِهِم، فكان حقّاً عليه من بعد أن يذيقهم من كأس إساءَتهم للدين والعقيدة، ما ليس يصلح معهم إلّا مثله، حتى لو أنَّ مجلساً واحداً من مجالسه خلا من ذلك لقيل : أين الشيخ نسيب ؟!

وهل يتيه بمكره الآفك إلّا من أكبّهم الله على وجوههم، فكانت غوايتهم غوايتين،

واحدة أنشبت أظفارها في قلوبهم بغوايتهم، والأُخرى أَنشأُوها على عيونهم، وأقامُوها في قلوبِ المريدين، يأكلون من زقُّوم إثمها، وَيَسْتَقُون من حميم أسنها .

فحقٌّ على الدَّاعية أن يبينّ للنَّاس، ويحذرهم من مثل هذا المكر الآفك !! ولقد كان للشيخ رحمه اللَّه دور لا يُنكر في تبيينه وفضحه .

أو : وهم يغسلون جسده، وكأنَّما هو جسدُ حيٌّ سَبَتَهُ النوم، فلا يلبث أن يستيقظ منه، ليواصلَ سعيه على طريق دعوة التوحيد .

أو : وهم يتعالى نحيب المودِّعيه المتشاحنين منهم، تنهلُّ دموعهم انهلالَ القطر، تسقي حزنهم المتحرِّقة به صدورهم، الكاسية به وجوههم، المتحرِّكة به ألسنتهم .

أو : وهم يتغابطون فيما بينهم بآخرِ عمل صالح مات عليه، في آخر وقت السَّحر، وعند إطلاله بالفجر الأول، ويده فوق التراب الذي كان يريد التيمّم به، وكأنَّما كلٌّ منهم يسرُّ إلى نفسه، أو إلى من بجواره : « اللهم غَبْطاً لا هَبْطاً » .

ولو كان الموت يُغبَطُ على قبضِ أحدٍ إليه، لكان يُغبطُ على قبض الشيخ إليه، أو مَن كان على مثل ما كان عليه الشيخ رحمه اللَّه، وكيف لا، وقد أمسك إليه « كُنَيِّفاً » من خُلُقٍ، يفيضُ سماحة تُنْتَقَضُ بها أطرافُ السَّماحة، وبشراً يغيبُ في كَلِّته الرقيقة البشر، وصبراً يَفري حدَّة الغائظين، ووفاءً يُتِمُّ نَقصَ وفاء الأوفياءِ، ومودَّة تقطِّعُ شحناءَ الأتقياءِ، ومثابرةً متجدِّدةً تخلَقُ معها عزائمُ الدُّعاة الأشدَّاء، وكظماً يَغيضُ في سوائه تطاوُلُ الجهلاءِ، ورضىً سابغاً تسعى إليه حلومُ الحلماءِ، وسخاءً يَبسط أيديَ البخلاء .

ارتحلَ عن الدُّنيا، حاملاً فوق ظهره أعباءَ نيِّفٍ وثمانين عاماً، التقت فيها أمشاجٌ من الهموم الكوائدِ، وتربَّعت فيها أخلاط العلل الموائد، وتناوشت صفحتها سهامُ المكر السَّيِّىءِ العامد، فما وهنت له عزيمة، وما انثنت له إرادة، وما أقعده عن الدَّعوة يأسٌ ولا ملل، ولا مرضٌ .

رحمَ اللَّه أبا غزوان، فقد كان بحقٍّ داعيةَ توحيدٍ، ومعلِّمَ خيرٍ، وباذلَ معروفٍ، وصانعَ إحسانٍ، ويداً بارَّة، وردءَ فضلٍ، وصوتاً سَبَنْدى على الخارجين عن الأدب النبوي،

وسوطاً يُلهِبُ ظهورَ أهل الشرك والخرافة، وأقفية القبوريين والزنادقة، وشوكة ناشبةً في حلوق الغائصين في وحل التصوف الحائد، وعلّةً ماكثةً في صدورِ المبتدعة المفسدين، وعصاً غليظةً تهوي على رقابِ المتكسّبين بالإسلام والمارقين .

وليس من دليلٍ على ذلك يُطلب، فسيرتُه هي الشاهدُ، والدليلُ، واللسان المبينُ، منذ أن بدأ يبني بيت الدعوة، ويؤسس قواعده في حلب الشهباء، معرضاً عن كلِّ المغريات التي تسعى حثيثةً إلى مثله نسباً، وسمعةً، ومكانةً، غير عابىءٍ بما جرّه عليه إعراضه عنه، من كلماتِ الذّمّ والطّعن التي لا تزيد في حسناته بما تأكل من حسنات الطّاعنين عليه بها فحسب، بل وتُعلي من قدره في الناس، بِنقاءِ سيرة المطعون عليهم بسوءِ تفكير الطّاعنين !! ورغبتهم في الإثم !! وحرصهم على الأذى عياذاً بالله تعالى !! وهل يمدح القبحُ إن قيل : إنّه حسن ؟! فإن كان ذلك يكون، فإنَّ ذمَّ الحُسن بقول القائل فيه : إنّه قبيح، مثله في هذا الحكم !! بل إنَّ ذمَّ الذّامِّ الحُسنَ، بمثل ما ذمّه به أدلُّ على فهاهةِ الذّامّ وأدعى للعود بالذّمّ عليه، وأولى ... بالطّعنِ عليه هو نفسه، لأنّهُ هو الطّاعن على نفسه بقوله ذاك، والمبيح به للنّاس، أن يروا فيه عيبه على غير خجلٍ منه ولا استحياءٍ !!!

وكان أولى به أن يتعرّف سيرة عقله وقلبه وسريرته، تعرفاً يُدنيه من التّقوى، ويقفه على ملامح الحقيقة التي لا يرتاب فيها إلّا الجاهلون ! أمّا الحاقدون فحسيبهم الله !! وكأنّهم قرنوا أنفسهم بوثاقٍ شديدٍ بمن وصفهم الله سبحانه من الكفّار وأعداءِ الرسل، والمنكرين آيات الله عتوّاً واستكباراً بقوله : ﴿ وجَحَدوا بها واسْتَيقَنَتها أنفُسُهم ﴾ .

إنَّ سلسلة دعوة التوحيد – التي أشرقَت بنورها أوّل ما أشرقَ في مكّة والمدينة مهبط الوحي، مُمتدّاً إلى القرونِ الثلاثة الخيّرة، ثم اختفت بظلمٍ من الذين ألبسوا أنفسهم لباسَ العلم، والتقوى، وادّعوا أنّهم أهل الحقّ والنَّصَفة – عادت إلى الظهور بنورها مرّةً أُخرى في القرن السابع .

ولما هاجت قرائح الفتنة الظّلماء، وتسارعت في الإثم خطى أقدامها، وتسارّت بالشرّ والعدوان ألسنتها، لم يكن بدٌّ أن تدع المواجهة المنظورة، فتعود إلى الاستخفاء، ليكون لها

ظهور أشدّ في القرن الثّاني عشر، وستكون لها العاقبة بالنّصر والحسنى والظهور الدّائم في الأرضِ إن شاءَ اللّه .

على أن الدّعوة كان لها حضورٌ صريحٌ وجريءٌ في كل قرنٍ، وفي كلّ جيل، وفي كل قُطر من أقطار الأرض، على تفاوت فيه، بما هيّأ اللّه سبحانه من أسباب، وأهمُّها وأبينُها : الدُّعاة العارفونَ، والعلماءُ الصّالحون، والكتب التي اختصّ اللّه بها أقلامَ العلماءِ المصلحين وعقولهم .

ولسنا نعدو الحقّ ولا الصّواب إن قلنا : إنَّ الشيخ نسيب رحمه اللّه كان واحداً من أولئك الدعاة العارفين، بما حباه اللّه من أدب، وصبر، ومثابرة، ولا نحسبه إلّا أنّه كان على إخلاصٍ في الدعوة، ولسنا متألّين على اللّه فيه ﴿ واللّه عليمٌ بِذاتِ الصُّدور ﴾ .

وترك رحمه اللّه بعده ثروةً علميّة، لا يستريب فيها إلّا من كان ينشد الحقّ بالباطل، والصّواب في الخطأ، والعلانيّة في الإسرار .

منها : « مختصر تفسير ابن كثير »، وقد ذاعَ ذيوعاً واسعاً، ونفعَ اللّه به، ومنها : « التوصُّل إلى حقيقة التوسُّل »، وهو من أحسن ما أُلّفَ في بابه، ويغني عن الكثير ممّا أُلّفَ فيه .

وتُوُفّي رحمه اللّه وهو مشتاقٌ إلى اليوم الذي يرى فيه كتابه : « التفسير الواضح على نهج السّلف الصّالح » يأخذ مكانه في رفوف مكتبة التفسير، والكتاب معدٌّ للطّبع، أسأل اللّه أن لا تطول غَيْبَتُهُ، وأن يكون من العلم الذي ينفع الشيخ بعد موته، هذا إلى رسائل عديدة، لا زالت مخطوطةً محفوظةً في خزانة كتبه، نرجو أن نراها قريباً بين أيدي قرّاءِ العربيّة، وطُلّابِ العلمِ .

وقليلٌ هم أولئك الذي يعلمون أنّ الشيخ نسيب رحمه اللّه كان شاعراً رقيقاً مجيداً، وله قصائد عدّة لم يضمّنها ديواناً، وهي مطويّة كرسائله :

ومن شعره في قصيدة طويلة يناجي ربّه :

يا ربِّ يا فارِجَ الأزمات والكُرَبِ وكاشِفَ الغمِّ والويلات والكُرَبِ

إليكَ وحدَكَ نَشكو ما أَلمَّ بنا فَقَد غَدَونا نعاني شرَّ مُنقَلبِ

في كُلِّ صُقعٍ من الأصقاعِ نازلةٌ بالمسلمين وحالُ العُرْبِ في تَعبِ

فلا كتابُك موفور الوَقارِ بنا ولا صحيحُ حديث المصطفى العربي

أحكام كلٍّ من الهديَين قد وُقِفَت وكم عليها من التَّعطيل من حُجبِ

العالمُ الفَذُّ، فذٌّ في مصالحه وصالح الدِّين، قد أشفى على العَطَبِ

والحاكمُ العَدلُ ليس العدلُ بغيَتَه ولا يراه سوى في الجاه والرِّيبِ

إليك يا ربُّ نشكو حالَ مجتمعٍ يعجُّ بالبغي والتَّضليل والشَّغبِ

ومن قصيدة أُخرى بعنوان (قَبيل إبليس) :

قبيلَ إبليس قد بانَت مقاصدكُم فلا الأضاليلُ تُخفيها ولا الحيلُ

دعوى الوجوديَّة النُّكراء كم هَتَفَت بها شياطينكُم، أهلُ اللَّظى الأوَّلُ

دعوى اتحادِكُمُ باللَّهِ كم نَعَقَت بها الزنادِيقُ، مَن ظنُّوا قد اتَّصلوا

وما يزال لها رهطٌ أُولو ضَعَةٍ غاوون عادون لا يُرجى بهم أملُ

حادوا عن الحقِّ، والبطلانُ يجذبُهم والكِذبُ والغيُّ ما قالوا وما فعلوا

ومن شعره أبياتٌ يرثي فيها زوجته الأُولى، التي توفِّيَت وهو في المعتقل :

أيا قبرُ فيك غَفَت زهرةٌ ترفَّق بها إنَّها زهرتي

سقتني زماناً رحيق الوفاءِ فهاك اليوم اسقِها من مقلتي

إذا ما كَفَت أدمُعي فاسقِها دماً قد تفجَّر من مهجتي

فأقضي (أديبة) حقَّ الوفاء إلى أن أُوسَّد في تُربَتي

وكان الشيخ رحمه اللَّه حين وفاتها لم يَنتَهِج سبيلَ الدَّعوة السَّلفيَّة بعد، لذا فقد أوصى أنْ تُنقَش هذه الأبيات الأربعة على قبرها .

وفي السجن كان تحوُّله إلى المنهج الحق؛ منهج الكتاب والسُّنَّة؛ بعد قراءَته كتاباً من كتب شيخ الإسلام؛ بحر العلوم، راحلة المعارف، والمفازة التي تقطَّعت فيها أنفاسُ الخرافة، والزَّندقة، والشرك، والقمَّة الشمَّاء، التي هلكت دونها فرق الإفك والضَّلال والتَّأويل، ابن

تيميَّة رضي اللّٰه عنه، وأقرَّ به عيونَ حسَّاده كمداً !! وأقرَّ به عيونَ أهل الحقِّ في كلِّ زمان ومكان فرحاً، فأيُّ هداية تلك التي لا تلبثُ أن تأخذ إلى القلب بقراءَة كتاب واحد، بعد أن يكون قد أُشربَ من الزَّيغ، ما لا يبقى فيه مكانٌ لغير الزَّيغ، إنَّه الإخلاص، السرُّ الذي لا يعلمُهُ إلّا اللّٰه وحدَه، فَيُهَيِّىءُ اللّٰه سبحانه به وله القلوب، فلا تجد إلّا الإخبات والتَّسليم والرِّضى، إنَّهُ ابن تيميَّة، وكفى !!، أسأل اللّٰه سبحانه أن يجمعنا والشيخ نسيب وابنَ تيميَّة، وكل من هُدي إلى المنهج الحق، عند قدم المصطفى صلوات اللّٰه عليه، لنشرب من يده من ماء حوضه شربةً لا نظمأُ بعدها .

وأسأله أيضاً أن يجعل من ابن تيميَّة رحمه اللّٰه حسرة في قلوب باغضيه، وعلَّةً – لا يشفيها إلّا التَّوبة – في صدور شانئيه، وداءً – لا تُبرئهُ إلّا الإنابة الصَّادقة – من أجساد حاسديه .

وكلما ذكرت الشيخَ نسيب رحمه اللّٰه في نفسي أو في ملإٍ، ذكرت قول النَّبيّ عليه الصلاة والسلام : « أثقل ما يوضَع في الميزان يوم القيامة حسن الخلق »[(١)]، وقوله أيضاً : « خير ما أُعطي النَّاس حسن الخلق »[(٢)] .

وجِمَاعُ حُسن الخُلُق في النَّاس، التواضع، والاعتراف بالجميل، والصِّدق، ولا أحسب واحداً في النَّاس ممَّن يعرفه إلّا وهو يرى من حقِّ الحقيقة عليه أن يعترف بحسن الخُلُق للشيخ نسيب رحمه اللّٰه، حتى ولو كان مبغضاً له .

ومن يعرف هذا منه، يعرف أنَّهُ لم يتكلَّف ذلك أو يتصنَّعه، فقد برئت طَوِيَّتُهُ – واللّٰهُ حسيبُه – من ضغن الحسد، ونفرة الاستكبار، وخشونة « الأنا » فلم يعد بحاجةٍ إلى التَّكلُّف، وقد أُعْطِيَهُ جِبِلَّة وطبعاً !! ويظلم الشيخَ ظلماً شديداً من يقول فيه غير ذلك، وما أسوأ عاقبة الظلم حتى ولو كان في أدنى منازله !

وما أحوجَ العلماء وطلّاب العلم والدُّعاة في زماننا هذا إلى مثل ذلك، وقد استحوذَ

(١) أخرجه أبو داود وأحمد وابن حبان عن أبي الدرداء بسندٍ صحيح .
(٢) حديثٌ صحيحٌ؛ رواه النسائي وابن ماجه وأحمد عن أُسامة بن شَرِيك .

على الكثير منهم حبُّ الدنيا، وشغلوا بتسويد القراطيس، وتنميق الكلام، والإغراق في الفلسفة الواغرة، بأسلوبٍ جديدٍ، وقواعدَ ونظريّات جديدة، واستطارَت آراؤُهم المختلفة المتناقضة في آفاق الدنيا، في طُعُوناتٍ خاليةٍ من التّقوى والأدب والعلم، وصارت مجالسهم تفوح منها رائحة الغيبة، وينهلُّ من سُقُفها قطرانُ الغرور والبَهْت، وغشيتها غواشي الفتنة المريبة، وأخذوا يمتارون بتوجُّسٍ وخلسةٍ وعدوان علماً ولَّت عنه البركة، وحلَّ محلَّها حبُّ الدِّرهم والدِّينار، وحين يصير العلم كسباً وانتهاباً، فهو إلى الإثم أقربُ منه للثّواب، وإلى الاختلاف والتّفرُّق أدنى منه إلى الاتِّفاق والاجتماع .

ولست أغلو إذ قلت : إنَّ مِن آفاتِ شيوعِ العلم القاصر عن التّقوى أنّه أذاع في الأُمّة البغضاء، وأذهبَ عنها توقيرَ العلماء الرَّبَّانيِّين، وأثبت فيها الجهلَ والتنطّعَ، وصار به كلُّ عليم اللسان عالماً !! وكلٌّ من فني نور عينيه في صحائف الكتب مُدَّعياً جاهلاً !!!

مِن هنا كان الشيخ نسيب - يرحمه اللّه -، يعرف للعالم قدره، توقيراً، وثناءً، واعترافاً بحق من أسدى إليه معروفاً، لا يحبسه عنه وجدٌ في نفسه، ولا يؤزُّه إليه حبٌّ يملأُ صدره، فكان رحمه اللّه إذا ما ذُكر الشيخُ محمد ناصرالدين الألباني - محدِّث العصر، ودرَّة السُّنَّة، وتاج الأثر - أمامه، يقول : « الشيخ ناصر أنفاسه أنفاس رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وهو صاحب فضل عليّ » .

وإذا قال له معترضٌ أو مُتَلَجْلِجٌ : إنَّ الشيخ ناصر يُحَسِّن - أو يُصحِّح - اليوم ما يكون ضعَّفه بالأمس، والعكس بالعكس، فيجيب رحمه اللّه مُخرِساً له : هذا من مناقب الشيخ ناصر، وحسناتِهِ .

رحمك اللّه يا شيخ نسيب، لقد كنت - والذي أماتك وأحياك - وقّافاً عند أدب النبوّة، « ويعرف لعالمنا حقَّه »[1]، فما كنت ترجو جزاءً ولا شكوراً، وحريٌّ واللّه أن تُنصف - وقد قضيت - من أخصامك قبل مُحَبِّيك، وهل جزاء الإحسانِ إلّا الإحسان ؟!

وليس من شيءٍ يُلحق بصاحبه عيباً كمثل مَحمَدةٍ يحرص المرءُ عليها، لا يَنْفَسُهُ

(١) قطعةٌ من حديثٍ حسنٍ؛ رواه أحمد والحاكم عن عُبادة .

عليها مثلُ نفسه !! فإذا الغرور قد جثا في صدره على ركبتيه، وتمطّى بقامته فوق منكبيه، وأوحى إليه أن ليس ينبغي أن يكون في الأُمّة مثل حِقويه !!

وَمِن أحْسَنِ حُسْنِ الخُلُقِ الإنصافُ، ولقد أُوتيَ منه الشيخُ نسيب رحمه الله حظّاً عظيماً، ليس يحمله عليه حبٌّ يستوفيه به لمستحقِّه أو يصدُّه عنه خصومه، فالإنصاف خُلُقٌ إيمانيٌّ عظيمٌ، وليس يكون دعوى تُجتلب بمعسول الكلام، أو تُدرأُ بشقشقة اللِّسان !! أو يَنميها لمن ينتصفُ له من خصمه طَمَعٌ في نفع عاجلٍ يصيبه عند من ينتصف له، أو خوف على أمر كان يناله فيخشى إن أمسك لسانه عن نصفته أن يفوته !!!

وما أكثر أولئك الذين أوردوا أقلامهم موارد الهوان، وأثقلوا ظهورهم بأوزار الهوى، وأنالوا أنفسهم آمالاً عِراضاً بوعودِ سرابٍ خاليةٍ، ونكصوا على أعقابهم حين أقبلت عليهم الدُّنيا، فأوثقوا حبال ألسنتهم إلى نباتٍ لا ساق له، وغَدَوْا على بياض الشَّيب شباباً حاسراً عن ذراعيه وساقيه، يداعبُ رَغَدُ العيش رموشَ عيونهم، ويحاكون بالتَّرف الهابط عليهم فجأةً رقَّةَ الغِيد، ويباهون بقلائد النِّعم الموهوبة المنهوبة مَن لم تدركهم الدنيا بحظوظها الشاردة البائدة .

ويَخرج الشيخ نسيب رحمه الله من الدُّنيا داعية، صابراً، دؤوباً، طوّافاً، محبوباً، حافظاً عِرض إخوانه حتى الذين خاصموه، مذكوراً بحُسْنِ الخُلُقِ، وحُسْنُ الخُلُقِ مذكورٌ به، لطيفَ العِشرة، ليِّنَ العريكة، سهلاً هيِّناً، رفيقاً، لا يعرفُ الحقدُ سبيلاً إلى قلبه، غير معتسفٍ دنيا بدين، طلْق المحيَّا، كان إنْ كان يُقبل فَطَلْقاً، وإن كان يُدبرُ فسمحاً، لا راغباً في شيء مهما جلَّ وأغرى، إلّا إن كان يُستعان به على شيءٍ من طاعة الله، غيرَ خاتلٍ ولا خادعٍ ولا مريبٍ .

رحم اللهُ الشيخَ نسيب، وأرضاه بنعمة الرضا، وكساه حُلَّة الرجاء فيما عنده، وألحقه بالصَّالحين، وجعل له مِنْ عَقِبهِ عافيةً في صلاح، وبرّاً في رشاد، وحُسناً في علانيَّة وخفاء، واجمعنا به يا ربَّنا مع النَّبيِّين، والصدِّيقين، والشُّهداء والصَّالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

اللّهم أجُر الدَّعوةَ فيه، واخلف لنا خيراً منه، واجزِه عمَّا سلف جزاء الخير وخير الجزاء .

وفاة ورثاء

الشيخ مُحمَّد نَسيب الرِّفاعي رحمه اللَّـه

مراد شكري

هَلْ أُطفِئتْ في (الهاشِميّ)[1] شُموعُ ... أَم أَقْفَرَتْ في جانِبَيهِ رُبوعُ
فَمِنَ الرِّجالِ إذا عَددتَ مَشاعِلٌ ... إنْ زالَ فَهْوَ كما يَزولُ رَبيعُ
هذا « أبو غزوانَ » وَدَّعَنا وَقَد ... لَذَعَ الفُؤادَ الدَّمعُ والتَّوديعُ
ليتَ المَماتَ كما أتاكَ أتى لَنا ... عِندَ الصَّلاةِ وَقَد أُجيفَ هُجوعُ
فالخاتِماتُ دلائلٌ وَشواهِدٌ ... إنَّ السَّرائرَ قَدْرُهُنَّ رَفيعُ
والعِلمُ قالَ اللَّـهُ قالَ مُحمَّدٌ ... لا الهَذْرُ والتَّزييفُ والتَّشنيعُ
والجنَّةُ العلياءُ أرفعُ مَنزِلاً ... مِن أنْ يَطاها نافِخٌ وجَمُوعُ
أدْرُجْ إلى مَرقى الجِنانِ بِظَنِّنا ... والظَّنُّ باللَّـهِ الكريمِ وقوعُ
لكَ شيمةُ الحُرِّ الكريمِ طبيعةٌ ... والخُلْقُ أعلى ما أتى المَطبوعُ
وحياءُ مِخفارٍ وطيبُ سريرةٍ ... ولسانُ صدقٍ مشرقٌ ونَصوعُ
وجهادُ نَخْويٍّ وهبَّةُ ثائرٍ ... وثرى الشَّآمِ مصدِّقٌ ومُذيعُ
فعليكَ رَحماتُ الإلهِ تَنزَّلت ... وإليكَ دعواتُ التُّقاةِ طُلوعُ

---

(١) حيٌّ من أحياء عمان البلقاء، كان يسكنه الشيخ محمد نسيب رحمه الله بعد هجرته من حلب الشهباء مهاجراً إلى الله، حيث اخترمته المنية يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٤١٣هـ فجراً، رحمَ الله أبا غزوان وأسكنه فسيح جنانه . (الأصالة) .

من سِيَر العُلماء

العلاّمة الشيخ حُمود بن عبدالله التُّويجري

(١٣٣٤هـ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

عالِمٌ فَقَدْناهُ ..

عبدالكريم بن حمود التويجري

الحمدُ لله وحده ، والصَّلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده ، وبعد :

فهذه ترجمة موجزة للشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله تعالى :

● اسمه ونسبه وكنيته :

هو الشيخ العالم العلاّمة العامل الزاهد الورع الراوية المسند أبو عبدالله حمود بن عبدالله بن حمود بن عبدالرحمن التويجري من قبيلة بكر بن وائل بطن من ربيعة .

● مولده :

ولد الشيخ رحمه الله بمدينة المَجمَعَة في يوم الجمعة الخامس عشر من شهر ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة وألف ١٣٣٤هـ من هجرة المصطفى ﷺ .

توفي والده عام ١٣٤٢هـ وكان عمر الشيخ إذ ذاك ثمان سنوات .

● طلبه العلم :

ابتدأ الشيخ القراءة على يد الشيخ أحمد الصانع عام ١٣٤٢هـ وذلك قبل وفاة والده رحمه الله بأيام قلائل .

تعلم على يديه مبادىء القراءة والكتابة ، ثم حفظ القرآن على يديه ولم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، كما قرأ عليه « الأصول الثلاثة » للشيخ الإمام المجدِّد محمد بن عبدالوهاب

رحمه الله .

ثم ابتدأ القراءة على الفقيه الأكبر الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري قاضي المَجْمَعَة وتوابعها وفقيهها وعمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاماً ، ولازمه ما يزيد على ربع قرن من الزمن ؛ قرأ عليه في شتى العلوم والفنون ؛ قرأ عليه في التفسير والحديث والتوحيد والفقه واللغة والتاريخ والأدب وغيرها .

كما حفظ عليه عدداً من المتون في أنواع العلوم .

وقد أجازه الشيخ بإجازة مطوّلة في رواية الصحاح والسنن والمسانيد ، وفي رواية كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ، وفي رواية مذهب الحنابلة ، كما أجازه بجميع مروياته لكتب الأثبات ، وقبل ذلك حدثه بحديث الرحمة المسلسل بالأوّليّة (1).

كما قرأ على الشيخ الفقيه العلامة محمد بن عبدالمحسن الخيّال قاضي المدينة سابقاً في النحو والفرائض .

كما قرأ على سماحة الشيخ العلامة الفقيه عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله حين عُيِّنَ قاضياً بالمَجْمَعَة ، قرأ عليه في اللُّغةِ والفرائض .

وقد روى عن الشيخ العلامة المجاهد سليمان بن حمدان قاضي مكة والمدينة سابقاً حديثَ الرحمة المسلسل بالأوّليّة ، وأجازه أيضاً بجميع مروياته للصحاح والسنن والمسانيد و الأثبات ، وقد ذكر ذلك كلّه الشيخُ حمودٌ رحمه الله في ثَبَتِه المسمّى « إتحاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء » .

أُلزِمَ الشيخ بالقضاء في رحيمة ورأس تنورة بالمنطقة الشرقية وذلك عام ١٣٦٨هـ ، وبقي بها نحواً من ستة أشهر ، ثم أُلزِمَ بالقضاء مرّة أخرى في مدينة الزُّلْفي عام ١٣٦٩هـ ، وبقي بها إلى آخر سنة ١٣٧٢هـ ، ثم اعتذر عن القضاء .

طُلب للعمل في مؤسسات علميّة كثيرة ؛ فقد طُلب للتعليم بالمعاهد العلمية إبّان

---

(1) وهو قولهُ صلّى الله عليه وسلّم : « ارحَموا مَن في الأرضِ ؛ يَرْحَمْكُم مَن في السّماء » ، انظر تخريجه في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (رقم : ٩٢٥) للعلاّمة الألباني .

افتتاحها ، ثم بكلية الشريعة ، ثمّ بالجامعة الإسلاميّة ، ثم للعمل بدار الإفتاء ، لكنّه اعتذر عن ذلك كلّه وآثر التفرغَ للعلم والبحث والتأليف .

استمرّ الشيخ يواصل العلم والتحصيل ويبثُّ ذلك في مؤلّفات جعل يُصدرها تباعاً لاقت - ولله الحمد - قبولاً واستحساناً من العلماء وطلاب العلم في زمنه ، وقد صدر عددٌ منها مصدراً ببعض تقاريظِ أولئك العلماء الأفذاذ من أمثال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله ، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، والشيخ عبدالرزاق عفيفي ، وقد طرق الشيخ فيها مواضيع شتى في العقيدةِ والأحكامِ والآدابِ والسّلوك .

وقد تصدّى لكل من حاد عن سبيل الله من الكُتّاب المعاصرين ، وجعل يردُّ عليهم بقلمه ، منافحاً عن السنّة ، مدافعاً عن العقيدة الصّحيحة ؛ عقيدة أهل السنّة والجماعة ، وربّما نشر ذلك في كتاباتٍ ومقالاتٍ في بعض الصحف المحليّة والخارجيّة .

● مؤلفاته :

بلغت مؤلفاتُ الشيخ أكثرَ من خمسين مؤلفاً ، طبع منها نحو من أربعين مؤلفاً ؛ منها :

- « إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط السّاعة » .
- « الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر » .
- « الرّد القويم على المجرم الأثيم » (وهو ردٌّ على من تعرّض لـ « صحيح البخاري ») .
- « الصارم البتار للإجهازِ على من خالف الكتاب والسنّة والإجماع والآثار » (وهو ردٌّ على من أباح الربا في البنوك) .
- « إثبات علو الله على خلقه » .
- « تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعادة والحب والبغض والهجران » .
- « القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .
- « عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرّحمن » .

- « الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين » .

- « إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجه » (وهو ردٌّ على أحمد الغماري) .

- « الرؤيا » .

- « تغليظ الملام على المُتَسَرِّعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام » . وغيرها .

وأول كتابٍ طُبع مِن كتبه ؛ « إنكار التكبير الجماعي وغيره » .

كما أنَّ للشيخ رحمه الله تنبيهات وتعليقات على كتب كثيرة ؛ منها :

تنبيهات على تصحيح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله لبعض الأحاديث ، وقد دوّنها بهامش « المسند » المطبوع بتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

ومنها : تعقبات على « مستدرك الحاكم » دوّنها بهامشه .

كما أنَّ للشيخ ثَبَتاً في رواية الحديث والأثبات ؛ سمّاه « إتحاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء » .

● تلاميذه :

لأسبابٍ كثيرةٍ لم يجلس الشيخُ للطلبة ، ولهذا قلّ تلاميذُه ، ولا بأس ها هنا من الإشارة إلى بعضهم .

تتلمذ على الشيخ حين كان قاضياً بالزُّلْفي عددٌ من الأفاضل منهم :

عبدالله الرومي ، وعبدالله محمد الحمود ، وناصر الطريري ، وزيد الغانم .

كما قرأ عليه أبناؤه عبدالله ومحمد وعبدالعزيز وعبدالكريم وصالح وإبراهيم وخالد بعض الكتب وكثيراً من مؤلفاته ، وقد أجازَ أبناءه بجميع مروياته ، وحدّثهم قبل ذلك بالحديث المسلسل بالأوّليّة .

كما أجازَ رحمه اللهُ عدداً من أفاضل العلماء والدعاة منهم :

الشيخ إسماعيل الأنصاري ، والشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن محمد بن حميد إمام المسجد الحرام ، والشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، والشيخ سلمان بن فهد العودة ،

والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض ، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي الأستاذ بالجامعة الإسلامية ، والشيخ الفاضل صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن السعد ، والشيخ عبدالرحمن الفريوائي ، وغيرهم كثير .

● **أخلاقه :**

كان رحمه الله يَتَّسِمُ بخُلُقٍ جَمٍّ ، وأدبٍ رفيعٍ ، نبيل السجايا كريم المَحْتِدِ ، تعلو مُحَيَّاه ابتسامةٌ محتشمةٌ ، وتلوح على قَسَماتِ وجهه هيبةٌ وجلالٌ تُزَيِّنُهُ ، لا يَمَلُّ مُجالِسُهُ ولا يسأم مُحدِّثه .

يتكلَّم بهدوء وينطق بحكمة ، قليلُ الكلام ، كثير الفكر ، كان رحمه الله ليِّن الجانب ، دمث الخُلُق ، يجلس مع أولاده وأهل بيته ، وينبسط معهم ، يتحدّث إليهم كأحدهم من غير فرق بين صغير وكبير ، وكان رحمه الله عادلاً بين أولاده ذكوراً وإناثاً .

ومن تمام عدله بين أبنائه أنّه - رحمه الله - مات ولا يدري أحدُهم مَن أحبُّهم إليه ، وإن كان عطفُه وشفقتُه على الصغير والإناث تبدو من خلال حديثه وتصرُّفه .

كان محبّاً للاستشارة مُطَبِّقاً لها قولاً وفعلاً ، لا يأنف أن يستشير حتى صغار أبنائه ، وكم غيّر ما يكتبه أو ترك أمراً يفعله أو فعل ما تركه بناءً على استشارةٍ أو تنبيهِ ناصحٍ .

كان وقّافاً عند حدود الله متى ثبت عنده الدليلُ من كتاب الله أو سنّة رسوله ﷺ ، لا يُقَدِّم عليهما قولَ صاحبٍ ولا رأيَ عالمٍ ، وكان كثيراً ما يُرَدِّد مقولَة الشافعي : أجمع المسلمون على أنَّ من استبانت له سنّة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من النّاس .

وكان أوّاباً إلى الحقِّ ، وقّافاً عنده ، فقد جاءَه أحدُ محبّي الشيخ المحدِّث ناصر الدِّين الألباني مُعاتباً حيثُ توجد عبارةٌ للشيخ حمود في كتابه « الصارم المشهور » ردّاً على الألباني ، فطلب الشيخُ الكتابَ ، وكان مُهَيّأً لإعادة الطبع ، فَنظر إلى الموطن المشار إليه ، ثم ضرب عليه .

وبمناسبة ذكر الشيخ الألباني ، فإنَّ الشيخ - وإن خالفه الرأي فيما محلُّه الاجتهاد ، وردّ عليه - فقد كان محبّاً له ، مُعجباً به ، مُثنياً عليه ، ولقد قال مرّةً بمناسبة صدور جائزة الملك فيصل

العالميّة : إنَّ الشيخ ناصر مِن أحقّ مَن يُعطاها لخدمته للسُّنَّة .

ولقد دعاهُ الشيخُ إلى منزله حين زار الألبانيُّ الرياضَ في عام (١٤١٠هـ) .

وكان رحمه اللّه شديد الغضب للّه ، يُتبيَّن ذلك حين يعلم أنَّ أحداً يجاهر بمعصية أو يعارض سنّة أو ينشر بدعة .

كان قويّاً في الحق لا تأخذه في اللّه لومة لائم ، مُجانِباً لأهل البدع والأهواء ، محارباً لهم بلسانه وقلمِهِ .

كان حريصاً على أداء عمله بنفسه ، بل إنّه يقوم بأعماله الخاصة دون أن يسأل أحداً شيئاً أو يستعين به ولو كان أقرب النّاس إليه كزوجه أولاده ، بل وربّما ألحُّوا عليه في تَرْكِه وإسْنادِه إليهم فيأبى ذلك ، ولسانُ حالِهِ يُرَدِّدُ حديث : « بايعوني على أن لا تسألوا النّاس شيئاً ... » .

● عبادته :

نذر الشيخ - رحمه اللّه - نفسه للّه فلا تراه إلّا في عبادة ، فنهاره للعلم بحثاً وكتابة ، منذ بزوغ الشمس إلى غروبها ، إلى صلاة العشاء ، وربما جلس بعد صلاة العشاء قليلاً بمكتبته يكمل ما ابتدأه بالنهار ، وذلك في أُخريات حياته رحمه اللّه ، يتخلّل ذلك نومةٌ يسيرةٌ بعد صلاة الظهر .

وأمّا ليله فيقضي جزءاً كبيراً منه - وهو ثلثه الأخير - في التهجد والصَّلاة حضراً كان أو سفراً ، لم يدع ذلك حتى أثناء مرضه إلى أن عجز عن ذلك ولم يعد يستطيع القيام به .

وأمّا الوتر فلم يتركه إلى آخر يوم من حياته رحمه اللّه .

لقد حفظ الشيخ وصيّة رسول اللّه ﷺ لعدد من أصحابه فما كان يدع صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، حتّى وهو يعاني شدّة المرض من أخريات حياته ، وكذلك صيام عشر ذي الحجّة وستّة أيام من شوال وعاشوراء وغيرها .

كما كان رحمه اللّه حريصاً على المتابعة بين الحج والعمرة ، حج مراراً كثيرة ، وكان يعتمر كل سنة ويحرص عليها في رمضان ، وكان يقضي وقت إجازة نصف العام مع أبنائه بمكّة حرسها اللّه .

لقد كان لسان الشيخ رطباً بالقرآن ؛ يقرأه على كل حالة قائماً وقاعداً ، ومضطجعاً، حتى إنّه ليقوم ببعض أعماله وهو يقرأ القرآن ، وكان يختم القرآن كل سبع ، إلّا في رمضان فيختم كل ثلاث .

وكان يقرأ في صلاة الليل كل يوم أربعة أجزاء ونصفاً تقريباً .

● مرضـه ووفـاتـه :

ابتدأ المرض بالشيخ منذ ثلاث سنوات تقريباً ، لكنه كان يكتم ذلك ويُخفيه ، حتى اشتد عليه المرض في السَّنة الأخيرة ، فأُدخل على إثر ذلك المستشفى ثلاث مرات ، كان آخرها قبل وفاتِهِ بيومين ، وكان خلال تلك المدَّة راضياً محتسباً صابراً على قضاء الله وقدره ، إلى أن وافاه أجله المحتوم في آخر ساعة من يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٣/٧/٥هـ .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وألحقه بمن أنعم عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصَّالحين وحَسُن أولئك رفيقاً .

وقد صُلِّي عليه بعد صلاة الظهر من يوم الأربعاء ١٤١٣/٧/٦هـ بمسجد الرَّاجحي بمدينة الرياض ، ودفن بمقبرة النسيم .

وكانت جنازته رحمه الله جنازة مشهودة ، حضرها خلق كثير ، ضاق بهم المسجد على سعته ، وامتلأت أسطُحه وساحاتُه والطرقُ المحيطةُ به ، وكان من بين الحاضرين جمعٌ كبيرٌ من العلماء والدعاة والوُجَهاء ، وقد أمَّ المصلِّين سماحةُ الشيخُ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله .

وكان عمر الشيخ يوم وفاته ثمانية وسبعين عاماً وستَّة أشهر وعشرين يوماً .

إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

اللهمَّ آجرنا في مصيبتنا ، واخلف لنا خيراً منها .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا انت أستغفرك وأتوب إليك .

والحمد لله ربِّ العالمين .

السمّاعون

سليم الهلالي

للإعلامِ تأثيرٌ بالغٌ على سلوكِ الإنسانِ واتجاهِهِ في الحياةِ حتى إنَّهُ يَصِلُ إلى حدِّ التَّسخيرِ .

ولأهمِّيَّةِ هذا الأثَرِ فقد اهتمَّ الإسلامُ بالإعلامِ وغايَتِه ووَسيلَتِه لِيَحمي المجتمعَ المسلمَ من التَّضليلِ الدِّعائي والتَّخريبِ الإعلاميّ .

وَمن استقرأَ المجالَ الإعلاميَّ في الكتابِ والسُّنَّة يَجدُهُ قائماً على خُطَّةٍ مَنهَجيَّةٍ دَقيقةٍ وَفقَ أُسُسٍ وَقِيَمٍ وَأَهدافٍ واضِحَةٍ .

وَمحاورُ هذه الخُطَّةِ تَرتَكِزُ على ما يأتي :

١ - الدَّعوةُ إلى الإسلامِ، وإعلامُ النَّاسِ بالحقائق، وبيانُها لَهُم : ﴿ أُدعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحِكمَةِ والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وجادلهُم بالَّتي هيَ أحسَنُ إنَّ رَبَّكَ هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سَبيلِه وَهوَ أعلمُ بالمُهتَدين ﴾ .

٢ - الدِّفاعُ عن قضايا الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ ورعايةُ مصالِحِها : ﴿ فَلولا نَفَرَ من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ لِيَتَفَقَّهوا في الدِّين وَلِيُنذِروا قومَهم إذا رَجِعوا إليهم لعلَّهم يَحذَرون ﴾ .

٣ - تَفنيدُ دعاوى الأعداءِ، وكشفُ مُخطَّطاتهم، وتبيينُ سبيلهم : ﴿ يحذرُ المنافِقونَ أن تُنَزَّلَ عليهم سورةٌ تُنَبِّئُهُم بما في قلوبهم قُل استَهزِؤا إنَّ اللَّه مخرجٌ ما تَحذَرُون ﴾ .

٤ - مواجهةُ الإشاعاتِ والأراجيفِ لحمايةِ المسلمِ من التَّضليلِ والمخادَعةِ، ووضعِه أمامَ الحقائق وجهاً لوجه : ﴿ لَئِن لَم يَنتَهِ المنافِقونَ والَّذينَ في قلوبهِم مَرَضٌ والمُرجِفونَ في المدينة لَنُغرِيَنَّك بهم ثمَّ لا يُجاوِرونَك فيها إلَّا قليلاً مَلعونينَ أينما ثُقِفوا أُخِذوا وَقُتِّلوا تَقتيلاً

سنَّةَ اللّهِ في الَّذينَ خَلَوا مِن قبلُ ولن تَجِدَ لسنَّةِ اللّه تبديلاً ﴾ .

وسنتكلّمُ عن الرّكيزةِ الأخيرةِ – اليوم – بشيءٍ من التّفصيلِ :

○ إنَّ الإشاعاتِ والأراجيفَ تَستهدِفُ سُمعَةَ المؤمنين، والنَّيلَ من كرامَتِهم، لإسقاطِ شَخصيَّتِهم بالإثمِ والبُهتان : ﴿ والَّذينَ يُؤذونَ المُؤمنين والمُؤمناتِ بغيرِ ما اكتَسبوا فَقَد احتَملوا بُهتاناً وإثماً مُبيناً ﴾ ، ﴿ إنَّ الَّذينَ يُحبُّونَ أن تَشيعَ الفاحشةُ في الَّذينَ آمَنوا لهُم عَذابٌ أليمٌ ﴾ .

○ ومِن ثَمَّ يَتمُّ اختراقُ الصُّفوف، وَنَشْرُ الفِتنَةِ، والتَّأثيرُ على ضِعافِ الإيمانِ، وإرباكُ البنيانِ الإسلاميّ : ﴿ لَو خرَجوا فيكُم ما زادوكُم إلّا خَبالاً ولأَوضَعوا خِلالَكُم يَبغونَكُم الفِتنَةَ **وفيكم سمَّاعونَ لهُم** واللّه عليمٌ بالظَّالمين لَقَد ابتَغَوا الفِتنَة من قبلُ وَقَلَّبوا لكَ الأمورَ حتى جاءَ الحقُّ وظهرَ أمرُ اللّهِ وهم كارهونَ ﴾ .

ويستغل المرجفون عنصرين أساسيين :

أ – جهل عامّة النّاس بالحقائق أو عدم وضوحها لديهم .

ب – حالة القلق والخوف والترقُّب .

○ إنَّ عاقبةَ الاستماعِ للأراجيفِ، والانسياقِ وراءَ الإشاعاتِ، وترويجِ الأخبارِ الكاذبةِ؛ هو **النَّدَمُ** : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إنْ جاءَكم فاسِقٌ بنبإٍ فَتبيَّنوا أنْ تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فَتصبِحُوا على ما فَعَلتم **نادمين** ﴾ .

وقد أرشدَنا الإسلامُ إلى كيفيّةِ التعامُلِ مع الإشاعةِ والأراجيفِ :

١ – **التَّبيُّنُ والتَّثبُّت**، فإذا سَمِعَ المُسلمُ خَبَراً يَنبَغي أنْ يَتَحقق من مَصدَرِهِ أهو ثِقَةٌ أم غير ذلك ؟

ومِن العجبِ العجيب أن كثيراً من العاملين على ساحة الدعوة الإسلاميّة يتلقَّونَ الأخبارَ من الإذاعاتِ الكافِرَةِ، والصُّحُفِ الفاجِرَةِ التي تخدِمُ مصالح أعداءِ اللّه وتُشيعُ الفاحشةَ في المؤمنينَ، وتُوحي بالشُّبهات والتُّهَم، ويأخذونَ مُعظمَ ذلك بالتّسليم !

فإنْ لم يَأْخُذوه بتسليمٍ؛ كان له أثَرٌ نفسيٌّ سلبيٌّ في عقولهم وقلوبهم، قد يُغيِّر

بآثاره - كثيراً مِن المواقفِ والتصرفات !!

٢ - **التسلحُ بالقوّة الإيمانيّة**؛ فإنّها مناعةٌ تبطلُ كيدَ الكافرين : ﴿ وَلا تَهِنوا وَلا تحزَنوا وأَنتُم الأعلَوْنَ إنْ كنتُم مؤمنين ﴾ ، ﴿ لولا إذ سَمِعتموهُ ظنَّ المؤمنونَ والمؤمناتُ بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفكٌ مبين ﴾ .

٣ - **عَدَمُ نَقلِ الإشاعةِ** وترويجِ الأراجيفِ، وحسنُ الظَّنِّ بالمؤمنين، قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمَرء كذباً أنْ يُحدِّثَ بكُلِّ ما سمعَ »(١).

٤ - **المواجهَةُ الإعلاميّة** لكشفِ الزّيفِ، وتعريةِ الإشاعةِ، وبيان الكذب والتناقض لإسقاط فاعليّتها : ﴿ أم حَسِبَ الَّذينَ في قلوبهم مرضٌ أنْ لَنْ يُخرِجَ اللّٰهُ أضغانَهم وَلو نشاءُ لأريناكَهُم فلعرفتَهم بسيماهُم ولتعرِفنَّهُم في لَحنِ القَولِ واللّٰهُ يَعلمُ أعمالكم ﴾ .

٥ - **الإسقاطُ** ؛ وهو ذو فاعليّة في هزّ نفسيّةِ العدو، وإشعاره بتفاهة منزلته، وضعف موقفه : ﴿ قُل ما يَعْبَأُ بكُم ربِّي لَولا دعاؤُكُم فَقد كذَّبتُم فَسَوفَ يكون لزاماً ﴾ .

٦ - **الإهمالُ** ؛ وهو عدمُ الاعتناء بالعدوّ؛ ليشعر بضَعفِ موقفه وضآلة قدرَته :

﴿ والَّذينَ هُم عن اللغوِ مُعرِضون ﴾ .

﴿ وإذا خاطبهم الجاهِلونَ قالوا سَلاماً ﴾ .

﴿ وإذا سَمِعوا اللّغوَ أعرَضوا عَنهُ وقالوا لَنا أعمالنا ولكُم أعمالكُم سلامٌ عليكُم لا نبتَغي الجاهِلين ﴾ .

وإذا اطّلَعتَ يا عبدَ اللّٰه على شيءٍ من عَورات المسلمين؛ فإيّاك أنْ تُخدَع؛ فتسارعَ إلى بَثّه فإنّهُ يُريع الأُمّة، ويَزيدُ الغُمّةَ، ويُمكّن للظَّلَمة .

ولكن لا تَنسَوُا الفضلَ بينكم نُصحاً وإرشاداً وسَتْراً وحِرصاً .

واللّٰهُ الهادي .

(١) رواه مسلم في « المقدمة » (٥) .

تصفية وتربية

العالِم الربَّاني وحاجة الأُمَّة إليه

محمد بن موسى بن نصر

في كل يومٍ يُقبل تشتدُّ حاجة الأُمّة إلى العالم الرباني الذي وصفه الله بقوله : ﴿ إنّما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ ﴾ ووصفه بقوله : ﴿ ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تُعَلِّمون الكتاب وبما كنتم تَدْرُسون ﴾ .

ذلك أنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء يهدونهم إلى الحق ويُرشدونهم إليه، فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى؛ فلولا العلماء لكان النّاس كالأنعام لا يعرفونَ معروفاً ولا يُنكرونَ منكراً ففضل العلماء على الأمّة عظيم : ﴿ وجعلنا منهم أئمّة يَهدونَ بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يُوقنون ﴾، **والإمامة في الدين إنّما تُنال بالصبر واليقين**، ولكن هل كل من لبس العمامة والجبة عالمٌ ؟!! وهل كل من أشير إليه بالبنان عالمٌ ؟!!

كلا ... فالعالم الذي يخشى الله ويتّقيه حقَّ تقاته ويعمل بطاعته ويحذر معصيته يطلب العلم لله؛ لا ليماري به العلماء، أو ليجاري به السفهاء، أو ليصرف بِهِ وجوه النّاس إليه، أو لِيُوَسَّعَ له في المجالس، وتُغدق عليه الجوائز والصِّلات، ويُلقى عليه هالةٌ من التقديس فَيُمدح بما ليسَ فيه، ويتشبّع بما لم يعط فيغدو كلابس ثوبي زور !!

وعالم السوء مَن أحسن زخرفة الألفاظ، وأجاد سَبْكَ العبارات، وبرع في شقشقة الكلام، وهو من الداخل خَوَاءٌ من كل فضيلة، قد ملأ النفاقُ قلبه وأفاض على جوارحه، يحسبه الظمآن ماء وما هو إلّا سراب بقيعة، يقول ما لا يفعل، ويفعلُ ما لا يؤمر، ويقفو ما ليس له به علم، ويعرض عما ندب إليه، ويتكلّف ما لا يعنيه : يشتغل بعيوب الآخرين،

وينسى عيوب نفسه، قَصْدُهُ من العلم التنعُّم بالدنيا والتوصُّل إلى المنزلة عند أهلها، أولئك لا يجدون عَرْف الجنة حتى يعود اللَّبن في الضرع، وحتى يلج الجمل في سمِّ الخياط إلّا أن يشاء اللّه .

والعالم الرباني عزَّ وجودُه في هذا الزمان إلّا من رحم اللّه وقليل ما هم، مصداقاً لقول رسول اللّه : « إنَّ اللّه لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء، وإنّما بموت العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ النّاس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[1].

ومن صفات العلماء الربانيين : بُعْدُهم عن السلاطين محترزين عن مخالطتهم؛ فَيَفِرُّون منهم فرارهم من المجذوم لئلا يفتنوا بهم ويتعلقوا بدنياهم، فيصبحوا مطيّة لهم يرتحلونهم متى شاءوا فيزينوا لهم الباطل حسبَ أهوائهم، فبئس ما صنعوا وبئس المنقلب منقلبهم .

قال حذيفة رضي اللّه عنه : إيّاكُم ومواقف الفتن .

قيل : وما هيَ ؟

قال : أبواب السلاطين، يدخل أحدكُم على السلطان فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه .

وقال سعيد بن المسيب : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنّه لصٌّ .

وقال بعض السلف : إنَّك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينك أفضل منه .

ومن صفات العالم الرباني : عدمُ التسرع إلى الفتوى فلا يُفتي إلّا بما يتيقّن صحته .

وقد كانَ السلف يتدافعونَ الفتوى حتى ترجع إلى الأوَّل .

وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى : أدركت في هذا المسجد مئة وعشرين من أصحاب رسول اللّه ﷺ ما أحدٌ يُسأَلُ عن حديث أو فتوى إلّا ودَّ أنَّ أخاهُ كفاه ذلك، ثمَّ قد آل

(١) متفق عليه من حديث عبداللّه بن عمرو رضي اللّه عنه .

الأمر إلى إقدام أقوامٍ يدَّعونَ العلمَ اليومَ، يُقْدِمُونَ على الجوابِ في مسائل لو عرضت لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه لجمعَ أهلَ بدرٍ واستشارهم .

فكيفَ بأدعياءِ العلمِ في العصرِ الحديثِ !!

ومن صفاته : اعتقادُ عقيدة السلف الصالح ومنهجهم، وتعظيمُ السنَّة ومحاربةُ البدعة وأهلها والتشريد بهم وبغضهم ومعاداتهم، فهو يوالي أهل السنة، ويعادي أهل الأهواء والبدعة، ويجاهد في سبيل الله باللِّسان والسِّنان ولا يخاف في الله لومة لائم .

والعالم الرباني : يتبع ولا يبتدع، ولا يضرب السنة بالكتاب، ولا يُقَسِّم الدين إلى قشر ولباب .

والعالم الرباني : يُعَظِّم السلف الصالح ويُوَقِّرُهم ويُجِلُّهم ويُثني عليهم بما هم أهله .

والعالم الرباني : ينصاع للحق ويشكر من أسدى إليه نُصحاً ولو كانَ أصغر منه سناً أو أقل منه فقهاً، ولا يَضيقُ صَدْرُه به .

والعالم الرباني : يخاف سوء الخاتمة فلا يجترئُ على الباطل، أو يتطاول على المسلمين، أو يسخر منهم، أو يغمزهم ويلمزهم، أو يُكيل لهم التهم والفرى جزافاً .

والعالم الرباني : لا يتعامل مع مخالفيه من المسلمين كما يتعامل مع الأفاعي والعقارب، فيرخي العنان للسانه شتماً وقذفاً وسخرية وتفنُّناً في عبارات السب واللَّعن، بل يُنَظِّف لسانه ويُطَهِّر جنانه، ويسأل ربه المغفرة ويخاف سوء الخاتمة .

فما أحوجَنا إلى علماء ربانيين صادِقين، ليأخُذوا بيد هذه الأمَّة إلى سبل السلام، فإنَّ الأمَّة أحوجَ ما تكون إلى الأسوة والقدوة المُتمثِّلة بأخلاق عُلماءِ الجيلِ الأوَّلِ الذين تمثلوا أخلاق الرسول ﷺ - الذي كانَ خُلُقُه القرآن[1] - فتزكو الأمَّة بهم، ويكون لها التمكين في الأرض، وما ذلك على الله بعزيز .

(١) كما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

الأُسرة وقواعد السُّلوك العائلي

د. مروان القيسي

الأسرةُ تلك اللَّبِنَةُ التي تُشكِّلُ أساسَ المجتمع، وتتكوَّن من أفرادٍ تقومُ بينهم علاقاتٌ دائمةٌ، تكادُ تكونُ أكثرَ العلاقات الإنسانيَّة أهمِيَّةً .

لذا كانَ لا بدَّ من قواعد للسُّلوك تحكُمُ هذه العلاقاتِ وتُنَظِّمُها، حتى تكونَ على خيرِ ما يُرام وتُؤتي أُكُلَها، متمثِّلاً في صَبغِ الحياة الأُسَريَّة بالانسجام والتَّعاون التَّامَّين .

والعَلاقاتُ الأُسَرِيَّةُ علاقاتٌ بينَ الزَّوجينِ من جهة، والآباء والأبناء من جهةٍ ثانيةٍ، والأبناء بعضهم ببعض من جهةٍ ثالثةٍ، وقد سبقَ مِنَّا القولُ في العَدَدِ الماضي حولَ ما يتعلَّقُ بقواعدِ سُلوكِ الزَّوجِ، واليومَ سيكونُ الكلامُ - بتوفيقٍ مِن اللّٰه - حول :

○ سلوك الزَّوجة :

١ - من المستحيل أن يتحقّق نجاحُ العلاقة الزَّوجيَّة إذا لم تلعب الزَّوجة دوراً إيجابيّاً فعَّالاً فيها مهما كان الزَّوج مثاليّاً ورائعاً، فانتبهي - أيَّتها الزوجةُ الصالحةُ - لهذا الأمر وتحمَّلي مسؤوليَّاتك، فعليك يعتمد نجاحُ الأسرة أو فشلُها .

٢ - إذا أردتِ أن تصومي تطوُّعاً فلا تفعلي ذلك قبل أن تستأذني زوجك، فإن لم يأذن لك، فليس مِن حقِّك حينئذ الصَّومُ .

٣ - إذا لم يرغب زوجُك بدخول أحدِ أقاربه أو أقاربك أو الجيران أو غيرهم من النَّاس، فلا تأذني بدخول ذلك الشَّخص منزلَك .

٤ - كلَّما اعتنيتِ بزوجك وقُمتِ على خدمته تقرَّبتِ من قلبه، فمعظم الأزواج

يرون في خدمة زوجاتهم لهم مظهراً من مظاهر الحب، فلا تُهملي واجباتك نحوه وتنبهي لما يطلبه منك .

٥ – اعلمي أنَّ لقدرة زوجك المادِّيَّة حدوداً، فارضي منه باليسير ولا تُكلِّفيه ما لا يُطيق، فتطالبيه بما هو فوق طاقته، فَتُوقِعيهِ وتُوقعي الأسرةَ كلها في الدُّيون، حتى لو كان زوجك من كبار الأغنياء، فإنَّ الإسراف في اللِّباس والأثاث أمر مكروه بغيض لا يليق الإقدام عليه بسيِّدة عاقلة، والفئةُ الوحيدةُ من النَّاس التي تودُّ شراء كل ما تشتهيه هم الأطفالُ !!

٦ – استقبلي زوجَك عند عودته من العمل بابتسامة، متزيِّنةً له في شعرك ولباسك ومظهرك ومتعطِّرة، وإذا كان مُحمَّلاً بالأغراض فخذي عنه وساعديه .

٧ – لا تَعْرضي عليه مشاكلك ومشاكل الأولاد فوراً، أو تبدئي بالشَّكوى، فإنَّ هموم العمل والإثارات التي تعرَّض لها طيلة النَّهار تكفيه، فإن جئت لتكملي مسلسل متاعبه، فعليكِ وحدك تحمُّل النَّتائج إذا ثار زوجك، لذا عليك أن توفِّري الجو الذي يحتاجه رجلٌ يعمل وقتاً طويلاً في مجتمع مليء بالمشكلات والتَّناقضات والعجائب كمجتمعنا .

٨ – ناقشي مشكلاتك مع زوجك على انفراد دون حضور أحد من الأولاد أو الأهل والأصدقاء .

٩ – احترامك وإكرامك لأهل زوجك احترام لزوجك وإكرام له .

١٠ – انتبهي باستمرار لنظافة أسنانك وطِيب رائحة فمك، وحافظي عليهما باستمرار .

١١ – أنت سيِّدة المنزل وراعيته فتحمَّلي مسؤوليَّاتك بأمانة وحافظي على أثاث البيت ومحتوياته، واعتمدي الاعتدالَ والتَّوفيرَ أساساً للمصروف .

١٢ – إنَّ حقَّ القوامة حقٌّ منحه الله تعالى للرَّجل عليك، فلا تطالبي بالمساواة كَمثلِ ما تطالب به المرأة الغربيَّة، ولكن طالبي بالعدل وأن تُؤدَّى إليك حقوقك التي أعطاك الله .

١٣ – لا تكثري الخروج من المنزل ولا تغادريه في حالة اعتراض زوجك على ذلك .

١٤ - لا تتحدّثي مع غريب أو أجنبي إلّا أن يأذن لك زوجك، وبالشروطِ الشرعيّة المعروفة .

١٥ - إذا خرجت مع زوجك للسُّوق أو للزّيارة فلا تتقدّمي عليه بالسَّير .

١٦ - احذري نشر الأسرار المتعلّقة بالجماع، ففي ذلك إثمٌ كبيرٌ .

١٧ - لا تكثري الكلام والنّقاش مع زوجك إذا لم تلمسي منه رغبة بالحوار أو الحديث، وتجنّبي عادة الرّد عليه، فتلك عادة سيئة .

١٨ - إذا تكلّم زوجك فأحسني الاستماع إليه .

١٩ - في حالة غياب زوجك عنك، كوني أكثر محافظةً على نفسك ورعايةً لماله وأولاده ومنزله .

٢٠ - حاولي ألّا يراك زوجك إلّا بمظهر جميل وثوبك نظيف ومزيّنة دائماً .

٢١ - لا تتردّدي في إظهار محبّتك لزوجك، فهذا مما يُقرّبه لك ويشدُّه للبيت والأسرة في وقت كثرت فيه الإغراءات خارج المنزل .

٢٢ - قابلي ما يُنفق زوجك عليك وعلى المنزل بالشُّكر والعِرفان لا بالجحود والنّكران .

٢٣ - إذا استفسر أحد أصدقاء زوجك عن زوجك، فلا تطيلي الكلام معه، واقتصري على إجابة الضّروري من أسئلته .

٢٤ - ليس لك أن تُعيري أحداً شيئاً من المنزل إلّا بموافقة زوجك .

٢٥ - إذا أقسم عليك زوجك أن تفعلي شيئاً، فليس من المشروعِ ألّا تبرّي قسمه .

٢٦ - إيّاك أن تهجري فراش زوجك مهما كانت الأسباب التي تجعلك تُقدمين على ذلك .

هذه قواعدُ عامّةٌ مبنيّةٌ على دلائلَ كثيرةٍ من الكتاب والسنّة، إذا وَعاها الرجلُ، وطبّقَتها المرأةُ، كان ذلك سبيلاً لبناءِ أُسرةٍ صالحةٍ، قوامُها المحبّةُ، وأساسُها السّعادةُ .

كتب حذَّر العلماء منها

مشهور بن حسن

تعرضنا في الحلقة السابقة[١] إلى جملة أحكام شرعيّة تتعلّق ببيع الكتب، وقد قرّرنا حرمة بيع الكتب المشتملة على الشرك وعبادة غير الله تعالى، وكتب الخرافات والشعوذة، وقررنا أيضاً عدم جواز بيع الكتاب كثير الأخطاء إلّا بعد البيان .

والكتب التي فيها أخطاء كثيرةٌ ومتعدِّدةٌ ومتنوّعةٌ، فمنها يغلب عليها الأخطاء العقديّة، ويقرر أصحابُها فيها ما يخالف المقرر في الشريعة الإسلاميّة، ولا يهمني بهذا الصدد إلّا التمثيل بما كُتب - قديماً وحديثاً - باسم الدين، وأبدأ بما وُضِعَ زوراً وبهتاناً على أنّه تفسيرٌ لكلام ربِّ العالمين؛ ومن ثم نُتبعه بما يتعلق بأحاديث سيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم، ونسلُكُ ذلك كلّه في عِقْدٍ :

○ كتب حذَّر العلماء منها :

- تفسير « الكشاف » للزمخشري (المتوفَّى سنة ٥٣٨هـ) .

ينبغي الانتباه إلى أنّ صاحبه معتزليٌّ جَلْدٌ، وأنّ له اختياراتٍ كثيرةً توافق المعتزلة وضلالاتهم في التوحيد، مع أنّ له منزلة عالية فيما حواه كتابه من أسرار الإعجاز البياني، والغوص على المعاني البلاغية الدّقيقة .

ولكن هذه الميزة، وتمكّنه من فنون القول، وبراعته في الكلام، وبُعد غوره، جعلت صاحبه يدسّ بعض آرائه في أثناء « تفسيره »، ممّا روّجها على خلق كثير من أهل السنّة .

---

(١) وسنواصلُ في العدد القادم - إن شاءَ الله - نقد كتاب « دفع شُبَه التّشبيه » ونقض كلمات محقِّقه المزعوم !

ولذا قال البُلقيني : استخرجت من « الكشاف » اعتزالاً - بالمناقيش - من قوله تعالى : ﴿ فمن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجنَّة فَقَد فازَ ﴾ قال : أيّ فوز أعظمُ من دخول الجنَّة ! أشارَ به إلى عدم الرؤية[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى - في « مقدِّمة أُصول التَّفسير » (ص:٣٨) - أثناء الكلام عن تفاسير المعتزلة ما نصه: « ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يدس البدع في كلامه، وأكثر النَّاس لا يعلمون، كصاحب « الكشاف » ونحوه، حتى إنَّه يروج على خلقٍ كثيرٍ من أهل السنَّة كثيرٌ من تفاسيرهم الباطلة » .

وقال الذهبي في « ميزان الاعتدال » في ترجمة الزمخشري : « صالح لكنه داعية إلى الاعتزال، أجارنا الله، فكن حذراً من « كشَّافه » »[2] أ.هـ.

وقال السيوطي : « وممَّن لا يُقبل تفسيره المبتدع خصوصاً الزمخشري في « كشافه » فقد أكثر فيه من إخراج الآيات عن وجهها إلى معتقده الفاسد بحيث يسرق الإنسانَ من حيث لا يشعر، وأساءَ فيه الأدب على سيد المرسلين ﷺ في مواضع عديدة فضلاً عن الصحابة وأهل السنَّة .

وألَّف الشيخ السبكي كتاباً سمَّاه « الانكفاف عن إقراء الكشاف » ذكر فيه أنَّه عقد التوبة من إقرائِه، وتاب إلى الله فلا يقرأه ولا ينظر فيه أبداً لما حواه من الإساءَة المذكورة .

قال : وقد استشارني بعض أهل المدينة النبويَّة أن يشتري منه نسخة ويحملها إلى المدينة فأشرت عليه بأن لا يفعل حياءً من النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم أن ينقل إلى بلدٍ هو فيها كتاب فيه ما يتعلَّق بجنابه ﷺ على أنَّهُ آيةٌ في بيان أنواع البلاغة والإعجاز لولا ما شانه ممَّا ذكرناه »[3] أ.هـ.

وثمَّة ملاحظةٌ أخرى حول هذا الكتاب، وهي : ضَعفُ كثيرٍ من الأحاديث التي فيه، ولا سيَّما أحاديث فضائل السور، سورةً سورةً، وكذلك ما روي في قصَّة السيدة زينب بنت جحش،

---

(١) « الإتقان » (١٩٠/٢) .
(٢) « الميزان » (٧٨/٤) .
(٣) « التحبير » (٣٣٠-٣٣١) .

وما ذكره في تفسير سورة الكهف من حديثٍ موضوعٍ في يأجوج ومأجوج .

○ إصلاحات وتصويبات حول « الكشاف » :

قيَّض اللّهُ سبحانه لهذا الكتاب كثيراً من العلماء فعملوا على تصفيته وتنقيته مما علق به من اعتزاليات، ونبهوا على ما اشتمل عليه من أحاديث ضعيفة وواهيات، ومن بين هؤلاء:

الإمام أحمد بن محمد، المعروف بـ « ابن المنيِّر »، عالم الاسكندرية وقاضيها وخطيبها، ألف كتابه « الانتصاف » - وهو مطبوعٌ مع « الكشاف » - يمكن لقاريً لتفسير « الكشاف » أن يقرأه مع الأمن عليه أن يزيغ، أو يضل في متاهات الاعتزال .

وسدّ ابن حجر العسقلاني في « الكافي الشاف »[1] - ومن قبله الزيلعي[2] - ثغرةَ الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي فيه، فقاما بإكمال هذا النَّقص خير قيام، فجزاهما اللّه عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

○ ومن التفاسير التي فيها من الباطل بعض الوجوه، ومما يوجبُ على دور النشر أن تُنَبِّه عليها، فضلاً عن أهل العلم وطلبته :

- تفسير الثعلبي، واسمه « الكشف والبيان في تفسير القرآن » .

قال شيخ الإسلام في « أصول التفسير » (ص:٢٧٦): « والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، ولكنّه كان حاطبَ ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيحٍ وضعيفٍ وموضوعٍ » .

وقال نحوَه في « مجموع الفتاوى » (٣٥٤/١٣) .

وقال في « منهاج السنّة النبويّة » (٤/٤) :

« لقد أجمعَ أهل العلم بالحديث أنّهُ يروي طائفةً من الأحاديث الموضوعة، كالحديث الذي يرويه في أوّل كل سورة وأمثال ذلك، ولهذا يقولون : هو كحاطب ليل » .

وقال أيضاً : « علماء الجمهور متفقون على أنّ ما يرويه الثعلبي وأمثاله لا يحتجون به لا في

(١) طبع في آخر « الكشاف » .

(٢) في كتابه المسمى « الإسعاف »، ويعمل أخونا علي بن حسن على تحقيقِ مخطوطتِه، يسر اللّه له ذلك .

فضيلة أبي بكر وعمر، ولا في إثبات حكم من الأحكام، إلّا أن يُعلم بثبوته بطريقه »[1] .

وقال في « الرد على البكري » (ص:٨) : « وإذا كانَ تفسير الثعلبي وصاحبه الواحدي ونحوهما فيها من الغريب الموضوع في الفضائل والتفسير ما لم يجز معه الاعتماد على مجرَّد عزوه إليه، فكيف بغيرها ؟! » .

ثم قال : « مع أنَّ هؤلاء المصنِّفين أهلُ صلاح ودين وفضل وزهد وعبادة، ولكنهم كما قال مالك : أدركت في هذا المسجد سبعين شيخاً، كلٌّ له فضل وصلاح ودين، ولو ائتُمنَ أحدُهم على بيت مال لأدّى فيه الأمانة، يقول أحدهم : حدثني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ، ما نأخذ عن أحدٍ منهم شيئاً، وكان ابن شهاب يأتينا وهو شاب فنزدحمُ على بابه، لأنَّه كان يعرف هذا الشأن » .

وقد نقل ابن تَغْرِي بَرْدِي في « النجوم الزَّاهرة » (٢٨٣/٤) : عن ابن الجوزي قولَه في هذا « التفسير » : « ليس فيه ما يُعاب به إلّا ما ضمَّنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضَّعف مُتناهية خصوصاً في أوائل السور » .

وقال ابن كثير : « كان الثعلبي كثير الحديث، واسعَ السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير »[2].

ومن العجب حقّاً أنّه - رحمه الله - ذكر في مقدمة « تفسيره » أنَّ اللّٰه رزقه ما عرف به الحقّ من الباطل، وميَّز به الصحيح من السقيم، وعاب على من جمع بين الغث والسمين، والواهي والمتين !!

ولا أدري كيف يكون حال كتابه لو لم يرزق ذلك !

وهذا الكتاب لم يطبع بعد - فيما أعلم - فليكن ناشره على بيِّنة من أمره، ولا يغتر بكثرة ما يذكر فيه، فقد أساء صاحبه إلى نفسه وإلى كتابه بهذا الصنيع المذموم، فينبغي أن يقترن بِبَيانِ الوضع أو الضعف معه حال الطبع . واللّٰه الموفق .

---

(١) (٢٥/٤) وقد تكرر الكلام من شيخ الإسلام عن الثعلبي، « وتفسيره » في المواطن التالية : (٤/ ١٨،٢٨،٣١،٤٦،٤٨،٨٣،٨٤،٩٥،١٠٥،١١٦) .

(٢) « البداية والنهاية » (٤٠/١٢) .

- « حقائق التفسير » لأبي عبدالرحمن السُلَمي (المتوفى سنة ٤١٢هـ) .

كان الشيخ أبو عبدالرحمن السُلَمي - رحمه الله - فيه من الخير والزهد والدِّين ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار - التي توافق مقصوده - كل ما يجده. فلهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة، والكلام المنقول، ما ينتفع به في الدِّين، ويوجد فيها من الآثار السقيمة، والكلام المردود، ما يضرّ من لا خبرة له، وبعض الناس توقف في روايته[١].

وقد اعتنى السُلَمي فيه بأقوال جعفر الصادق، ولكنها لم تصح ولم تثبت عنه، وغالبها كذب .

قال شيخ الإسلام : « وقد ذكر أبو عبدالرحمن في « حقائق التفسير » عن جعفر بن محمد وأمثاله من الأقوال المأثورة ما يعلم أهل المعرفة أنّهُ كُذب على جعفر بن محمد، فإن جعفراً كُذب عليه ما لم يُكذب على أحمد »[٢].

وقال أيضاً : « في مصنفات أبي عبدالرحمن السُلَمي من الحكايات الباطلة، بل ومن الأحاديث الباطلة ما لا يوجد مثله »[٣].

والمقصود هنا أن المذكور فيه عن سلف الأمة وأئمتها ينبغي لطالب العلم أن يعمل على تمييز صحيحه من ضعيفه، وأن لا يُسَلَّم له .

وثمّة ملاحظةٌ أخرى جديرةٌ بالتسجيل هنا، ألا وهي :

إنَّ هذا الكتاب لم يقتصر عل ذكر الباطل عن سلف الأُمّة، بل فيه خطأ في مدلول ومعاني الآيات القرآنيّة، فتُذكر فيه معانٍ صحيحةٌ لا تدل عليها الآيات القرآنية .

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة في « مجموع الفتاوى » (١٣/٣٦٢-٣٦٣) : « وأمّا الذين يخطئون في الدَّليل لا في المدلول فمثلُ كثيرٍ من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم، يفسرون القرآن بمعانٍ صحيحةٍ؛ لكن القرآن لا يدلُّ عليها، مثل كثير ممّا ذكره أبو عبدالرحمن السلمي في « حقائق التفسير » وإن كان فيما ذكروه ما هو معانٍ باطلة، فإنَّ ذلك يدخل في القسم الأوّل،

(١) « مجموع الفتاوى » (١١/٥٧٨) .
(٢) المرجع نفسه : (١١/٥٨١) .
(٣) المرجع نفسه : (١٨/٧٢) .

وهو الخطأ في الدَّليل والمدلول جميعاً، حيث يكون المعنى الذي قصده فاسداً » .

وكذلك لم يَسْلَم هذا التفسيرُ من الإشارات والشطحات الصوفية، بل احتوى على كثير من الحلول والاتِّحاد، مما جعل الإمام الذهبي يقول - في « سير أعلام النبلاء » (١٣/٤٤٢) - فيه :

« تُكلِّمَ في السُّلمي من أجل تأليفه كتاب « حقائق التفسير » فيا ليته لم يؤلِّفه، فنعوذ بالله من الإشارات الحلّاجيَّة، والشطحات البِسْطاميَّة، وتصوُّف الاتحاديَّة، فواحزناه على غُربة الإسلام والسُّنَّة، قال الله تعالى : ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ﴾ » .

وقال في ترجمته مِن « السير » (١٧/٢٥٢) : « ... وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكاياتٌ موضوعة، وفي « حقائق تفسيره » أشياءُ لا تسوغُ أصلاً، عدَّها بعضُ الأئمَّة مِن زَندقة الباطنية، وعدَّها بعضهم عرفاناً وحقيقةً، نعوذُ بالله من الضَّلال ومن الكلام بهوى، فإنَّ الخير كلَّ الخير في متابعة السنَّة والتمسُّك بهَدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم » .

وقال أيضاً : « و « حقائقه » قرمطةٌ، وما أظنه يتعمَّد الكذب، بل يروي عن محمد بن عبدالله الرازي الصوفي أباطيلَ وعن غيره »[١].

وقال أيضاً :

« أتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية، نسأل الله العافية »[٢] .

وقال الإمام تقي الدين ابنُ الصَّلاح في « فتاويه »[٣] : « وجدتُ عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسّر - رحمه الله - أنَّه قال : صنَّف أبو عبدالرَّحمن السُّلمي « حقائق التفسير »، فإنْ كان اعتقد أنَّ ذلك تفسيرٌ فقد كَفَر » .

وعلّق عليه الذهبي بقوله : « قلتُ : واغَـوثـاه ! واغُـربـتـاه ! »[٤].

(١) « سير أعلام النبلاء » (١٧/٢٥٥) .
(٢) « تذكرة الحفاظ » (٣/١٠٤٦-١٠٤٧) .
(٣) ص:٢٩، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٣٤١)
(٤) « سير أعلام النبلاء » (١٧/٢٥٥)، وانظر « التفسير والمفسرون » (٢/٣٨٦) .

وَصِيَّةُ إمام

سليم بن عيد الهلالي

قال كُمَيلُ بن زيادٍ :

أخَذَ عليُّ بنُ أبي طالب بيدي، فأخرجني إلى ناحيَة الجبَّان[1]، فلمَّا أصحرنا[2]؛ جلس، ثمَّ تنفَّس، ثمَّ قال :

يا كُمَيل بن زياد ! القُلُوبُ أوعيةٌ، فخيرُها أوعاها؛ إحفظ ما أقُولُ لكَ :

النَّاسُ ثلاثة : فعالمٌ ربَّانيٌّ[3]، ومتَعَلِّمٌ على سبيلِ نجاةٍ، وهَمَجٌ رعَاعٌ أتباعُ كلِّ نَاعِقٍ، يَميلونَ معَ كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنور العلمِ، ولم يَلجَؤوا إلى رُكنٍ وثيقٍ .

العلمُ خيرٌ من المال، العلمُ يحرسكَ وأنت تحرس المال .

العلم يزكو على العمل، والمالُ تَنقُصُهُ النَّفقةُ، ومحبَّةُ العالمِ دِينٌ يُدانُ بها .

العلمُ يُكسِبُ العالمَ الطَّاعةَ في حياته، وجميلَ الأُحدُوثة بعد موته، وصنيعةُ المال تزول بزواله .

مات خُزَّانُ الأموال وهم أحياء، والعلماءُ باقون ما بقي الدَّهر، أعيانُهم مفقودةٌ، وأمثالُهم في القلوب موجودةٌ .

---

(١) ما استوى من الأرض في ارتفاعٍ، ويكون كريمَ المَنبَت، ولا تكون في الرَّمل ولا في الجبل، وكل صحراء جَبَّانة .

(٢) برزوا إلى الفضاء، لا يواريهم شيءٌ .

(٣) هو العالم العامل البصير بسياسة النَّاس، حيث يُرَبِّيهم على صغار العلم قبل كباره .

إنَّ ها هُنا - وأشار بيده إلى صدرِه - علماً لوأصَبتُ لهُ حَمَلَةً !

بلى؛ أصبته لَقِناً(١) غيرَ مأمونٍ؛ يستعملُ آلَةَ الدِّينِ للدُّنيا، يستظهر بحُجَجِ اللَّه على كتابه، وبِنِعَمه على عبادِه، أو مُنقاداً لأهلِ الحقِّ لا بصيرة له في إحيائه، يَنقَدِحُ الشكُّ في قَلبِه بأوّلِ عارضٍ من شُبهةٍ، لا ذا ولا ذاكَ، لا يَدري أينَ الحق ؟ إن قالَ ؛ أخطأ، وإن أخطأ؛ لم يَدرِ، مشغوفٌ بما لا يُدرَى حقيقتُه، فهو فتنةٌ لمن افتُتن بِه، وإنَّ من الخيرِ كلِّه مَن عرَّفَهُ اللَّهُ دينه، وكفى بالمرءِ جَهلاً أن لا يعرِفَ دينَهُ، أو منهوماً باللَّذّاتِ، سَلِسُ القيادِ للشَّهواتِ، أو مُغرىً بجمع الأموالِ والادِّخارِ، وليسَ من دُعاة الدِّينِ، أقربُ شَبَهاً بالأنعامِ السَّائمة، كذلكَ يَموتُ العِلمُ بمَوتِ حامِليه .

اللَّهمَّ بلى؛ لا تخلو الأرض من قائم للَّه بحجَّةٍ، لئلّا تبطُلَ حُجَجُ اللَّه وبَيِّناتُه، أولئك هم الأقلُّونَ عدداً، الأعظمون عند اللَّه قدراً، بهم يدفَعُ اللَّه عن حُجَجِهِ حتى يُؤَدُّوها إلى نُظَرائِهِم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجَمَ بهمُ العلمُ على حقيقة الأمرِ، فاستلانوا ما استوعر منه المُتفرِّقون، وأَنِسُوا بما استَوحشَ منهُ الجَاهلونَ، صَحبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعَلَّقَةٌ بالمَنظَرِ الأعلى، أولئكَ خُلَفاءُ اللَّه(٢) في بلاده، ودُعاتُهُ إلى دينِه .

هاه هاه ! شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفرُ اللَّه لي ولكَ ... إذا شئتَ؛ فَقُم(٣).

---

(١) سريع الفهم؛ إلّا أن العلم لم يطبعه على مكارم الأخلاق، فهو يستخدم وسائل الدِّين لجلب الدُّنيا، ويستعين بنعم اللَّه وفضله عليه على إيذاء عباد اللَّه، نعوذُ باللَّهِ مِن الخِذلان .

(٢) في هذا التّعبير نكارة، ولا يصحُّ فيه حديث مرفوع، وانظر « معجم المناهي اللفظيّة » (ص:١٥٦) للشيخ بكر أبو زيد .

(٣) أخرج هذه الوصيّة أبو نُعيم في « الحلية » (٧٩/١) والخطيب في « الفقيه والمتفقّه » (٤٩/١) . وانظر « جامع بيان العلم » (١١٢/٢) و « البداية والنهاية » (٤٧/٩) .

(١)

المؤتمر السَّنوي السَّادس لجمعيَّة القُرآن والسنَّة في أمريكا الشمالية

د. محمد الجبالي

أقامَت جمعيةُ القرآن والسنَّة في أمريكا الشماليَّة مُؤتمَرَها السَّنويّ السادس في مدينة شيكاغو من ولاية إلينوي، تحت عنوان : « **واقعُ الأُمَّة : أسباب الوَهَن، وسبيل النهوض** »، وذلك في الفترة الواقعة بين ٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ إلى ٣ رجب الفرد ١٤١٣هـ .

ولقد دَعَت الجمعيَّةُ عدداً مِن أهلِ العلمِ وطُلّابه المعروفين من عدَّة بلادٍ إسلاميَّة، كان منهم : الشيخ صالح بن غانم السَّدلان، الشيخ علي الخشَّان، الشيخ أبو إسحاق الحُويني، الشيخ عقيل المَقْطَري، الشيخ سليمان السلُّومي، الشيخ عبدالله بن عبدالمحسن التويجري، الشيخ أحمد عبداللطيف العبد اللطيف، الشيخ مجدي وردة، الشيخ جعفر الشيخ إدريس، الشيخ سليم الهلالي، الشيخ علي حسن عبدالحميد وغيرهم .

وقد قام هؤلاء المشايخ – جزاهم الله خيراً – بإلقاء عددٍ من المحاضرات المنهجية والنّدوات العلمية واللقاءات التّربويَّة النّافعة، ممَّا كان له كبيرُ الأثر وعظيمُ الفائدة في نفوس الحاضرين الذين وَصَلَ عددُهم تقريباً إلى سبع مئة مُشارك .

ورغبةً في إطلاعِ قُرّاء (**الأصالة**) على مُجريات المؤتمر ووقائعه، رأيتُ أن أبدأ – قبلَ كلِّ شيء – بإيراد كلمتي التي افتتحتُ بها هذا المؤتمَرَ بصفتي رئيساً للجمعيَّة، وهاكم نصَّها بعد خطبة الحاجة النَّبويَّة :

أمّا بعد؛ فالسّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

إخوتي في اللّه : أُرحّب بكم أصدقَ ترحيب في مؤتمركم هذا مؤتمر القرآن والسنّة، وأسأله تعالى أن يُغْدِق علينا من فيض عطائه علماً نافعاً، وبصيرةً نافذةً تُنير لنا طريقنا في ظُلمات غربتنا هذه .

إنّ دعاة السنّة في الدّيار الأمريكيّة يلاقون في اتّباعها والدّعوة إليها العناءَ والعداءَ من أهل الباطل ومن أدعياء الإسلام المنحرفين كما هي سُنَّة اللّه في أنبيائه وحَمَلة دعوتهم، لكنّ ذلك لا يزيدهم إلّا التزاماً بالحقّ وصَدعاً به، نسأل اللّه لنا ولكم الإخلاصَ والثّبات .

وقد قامَ حَمَلةُ هذه الدّعوة المباركة في هذه البلاد بعدّة محاولات لجمع كلمتهم ولمّ شتاتهم، وكان من أنجح هذه المحاولات إنشاءُ جمعية القرآن والسنّة في أمريكا الشماليّة، وهذه الجمعيّة تحملُ بجلاءٍ ووضوحٍ لواءَ الدّعوة السّلفيّة في شمال أمريكا، وتهدفُ إلى نشرها وتوطيد دعائمها فيها.

وبالرغم من بعض أوجه التقصير المعهود في كل عمل جديد، فقد أنجزت الجمعيّةُ إنجازاتٍ طيبةً يشهد بها المنصفون .

ونحنُ - بتوفيقٍ من اللّه - نعملُ جاهدين لتلافي أسباب التّقصير، وللإفادة من كل نقد بنّاء، مع حِرصنا وتأكيدنا الشديد على أهميّة العمل النّاضج الرّصين، **وعلى نَبذ كافّة ألوان العصبيّة والحزبيّة**، وتوجيه الاحترام والإجلال اللائق لأهل العلم، عَمَلاً بقوله عليه الصّلاة والسّلام : « ليسَ منّا من لم ... يَعرف لعالمنا حقه »[1].

ونسأل اللّه القديرَ أن نكون قد أفلحنا إلى حدٍّ كبيرٍ في جمع كلمة إخواننا حَمَلة العقيدة السّلفيّة وقلوبهم بشكل ظاهر .

وكما هو معلومٌ فإنّ الجمعيّة تتّخذ عدّة وسائل لتحقيق غايتها، ومن

---

(١) رواه أحمد والحاكم عن عُبادة، وهو حديثٌ حسن، انظر « صحيح الترغيب » (٩٦) لشيخنا الألباني

أظهر هذه الوسائل المؤتمر السنويّ، وهو فرصةٌ لأهل منهاج النبوّة وأحبّائه لكي يلتقوا بإخوانهم في العقيدة والمنهج، ولكي يلتقوا بأهل العلم حَمَلة هذا المنهج الدّائبين على نشره، فيستمعوا منهم إلى الإرشاد والتوجيه في جوٍّ علميٍّ أخويٍّ .

وموضوعُ مؤتمرنا لهذا العام : « **واقع الأمّة ... أسباب الوهَن وسبيل النهوض** »، وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع بوحي من الأحداث الأليمة المتضافرة التي تعصفُ بأمّتنا من كل جانب - نسأل الله العفوَ والعافية - .

وما أكْثَرَ مَن يَدْرُسُ ويُحلِّل هذه الأحداثَ، لكن - للأسف - بما يزيدُها تعقيداً لافتقاره للأساس المتين والتصوُّر الصحيح، فإنّه ما من شكٍّ أنَ التحليل الصحيح هو الذي يستندُ إلى الأدلّة الشرعيّة - القرآن والسُّنّة -؛ وهذا ما نسعى لِتبنّيه في سائر تصوُّراتنا بعامّة، وفي هذا المؤتمر بخاصّة؛ إذ لا عصمة ولا منجى ولا فلاح للمسلمين إلّا فيه .

وقد كان اختيار المحاضرات هادفاً إلى خدمة هذا الموضوع العامّ للمؤتمر بحيث يُحاط به بما يشفي الغليل ويُنير لنا الجادّة .

وانطلاقاً من حرص الجمعيّة على تكريس الطّابع العلمي في كافّة نشاطاتها كافّةً فإنّنا قد عملنا جاهدين على جمع عددٍ من خيار أهل العلم في ديار الإسلام، مما يُؤكّد جديّة المؤتمر وفائدته بحول الله .

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وسأُتابعُ مَعَكم - إخواني القرّاء - في العددِ القادمِ - إن شاء اللّهُ - بنوعٍ من التّفصيل وقائعَ هذا المؤتمر المهمّ في موضوعهِ ومادّتهِ، ممَّا سيكون له - به - أثرٌ قويٌّ في صياغة فكر الأمّة، وتسديد دَربها، وتَرشيد طريقها، عسى أن يُعْظِمَ اللّهُ سبحانه به النّفعَ، ولنا الأجر، إنّه سميعٌ مجيبٌ .

مسائل .. وأجوبتها

المحدث العلامة : محمد ناصر الدين الألباني .

مدخل : هذا البابُ يحوي بين سطوره الإجابةَ على ما يُشكِلُ على الأخوة القُرّاء من مسائل علميّة فقهيّة، أو مباحث حديثيّة أو عقيديّة، أو غير ذلك من مُهمّات تتّصل بشرعِ اللّه سبحانهُ .

وسنقومُ - إن شاءَ اللّه - بعَرضِ ما يَرِدُنا من ذلك على شيخنا العلّامة محمّد ناصر الدِّين الألباني، للإجابة عليه، فجزاه اللّه خيرَ الجزاء .

وعليه؛ فإنّنا نُرحّبُ باستفسارات القرّاء وأسئلتهم، سائلين اللّه سبحانهُ النّفعَ والتّوفيق : التحرير .

● السؤال الأوّل : ما القولَ في قوله تعالى : ﴿ اللّهُ يستهزئُ بهم ﴾، وقوله : ﴿ سَخِرَ اللّهُ منهم ﴾، وأمثالها من الآيات المتشابهة ؟!

الجواب : السلف كانوا يقولونَ في مثل هذه الآية وأشباهها : أمِرُّوها كما جاءت .

وهم لا يعنونَ أمِرُّوها بدون فهم ! وإنّما أمرُّوها كما جاءت؛ بفهم صحيح، بدون تشبيه أو تكييف أو تأويل أو تعطيل .

قال تعالى : ﴿ ليسَ كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ففي هذه الآية تنزيهٌ، وفيها - أيضاً - إثبات لصفتي السمع والبصر .

فمعنى التنزيه أننا نُثبت الصفة التي وصف اللّه بها نفسه أو وصفه بها رسولُه ﷺ كما يليق بعظمته سبحانه وتعالى، ولا نكيّفُ ذلك فنقول : سمعه كسمعنا، وبصره كبصرنا، كما أننا لا نتأوّل ذلك كما فعل بعض غُلاة المعتزلة حيث أوّلوا السمع والبصر بالعلم، مع أنّ اللّه قد وصفَ نفسه في غير ما آيةٍ في القرآن الكريم بالعلم، فتأويل أولئك للسمع والبصر بالعلم تعطيلٌ، قال عنه العلماء : المعطل يعبد عدماً، والمجسم يعبد صنماً .

وعلى هذا نقول في الآيتين السابقتين - الواردتين في السؤال - من استهزاء اللّه عزّ وجل

وسخريته : أنّه استهزاء وسخرية يليق بالله عزّ وجل، وليس كما تتوهّمه الأفهامُ القاصرةُ ممّا فيه تَشبيهٌ بالمخلوقين .

ο ο ο ο ο

● السؤال الثاني : هل آياتُ الصفات من المتشابهات أم من المُحْكَمات ؟

الجواب : هيَ من جهةٍ من المتشابهات، وذلك فيما يتعلّق بالكيفيّة المُتعلّقة بالله سبحانه، وليستْ - من جهة أخرى - من المتشابهات؛ من حيثُ إنّ لها معنى ظاهراً، أي أنّ لها معاني معروفة باللّغة العربيّة .

فهيَ أذن باعتبار الكيفيّة متشابهةٌ، لأنّه لا يمكن أن نعرف كيفية ذات الله، فبالتالي لا يمكن أن نعرف كيفية صفاته عزّ وجل، إذ الكلام في الصّفات فرعٌ عن الكلام في الذاتِ .

ولهذا قال بعض أئمّة الحديث - وهو أبو بكر الخطيب - : يُقال في الصفات ما يُقال في الذات سلباً وإيجاباً .

فكما أنّنا نُثبت الذات ولا ننفيها - فإنّ هذا النّفي هو الجحد المطلق -، كذلك نقول في الصفات؛ نُثبتها ولا ننفيها، ولكنّنا كما لا نكيّف الذات لا نكيّف الصفات .

ο ο ο ο ο

● السؤال الثالث : ما حكم الاستمناء ؟

الجواب : لسنا نشك في تحريم هذه العادة، وذلك لسببين اثنين :

الأوّل : قوله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذينَ هم لفروجهم حافظونَ إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانُهم فإنّهم غيرُ مَلُومين **فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك** هم العادُون ﴾ .

وقد استدلّ الإمامُ الشافعيُّ بهذه الآية على تحريم الاستمناء، ففي هذه الآية جعل الله للمؤمنين - حقاً - سبيلين اثنين لقضاء شهوتهم : إمّا التزوّج بالحرائر، وإمّا التمتع بالإماء والجواري ... ثمّ قال : ﴿ فمن ابتغى وراء **ذلك فأولئك** همُ العادونَ ﴾ أي : فمن ابتغى سبيلاً يروي به شهوته غير سَبِيلَيِ الزواج والتسرّي فهو عادٍ ظالمٌ .

الثاني : أنّه ثبت طبيّاً أنّ عاقبةَ من يفعل ذلك عاقبةٌ وخيمةٌ، وأنّ في هذه العادة ضرراً

بالصحة، ولا سيما المدمنين لها صباح مساء، وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله : « لا ضرر ولا ضرار »[1]، فلا يجوز للمسلم أن يتعاطى شيئاً يضر بنفسه أو بغيره .

وثمّة شيءٌ لا بدّ من ذكره : وهو أنّ هؤلاء الذين يمارسونَ هذه العادةَ يَصْدُقُ فيهم قوله تعالى : ﴿ أتستبدلونَ الذي هو أدنى بالذي هوَ خير ﴾ ، فقد جاء عن النّبي عليه السلام - ممّا يؤكّد التحريم - قولُه : « يا معشرَ الشباب .. من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّه له وجاء » .

ο ο ο ο ο

● السؤال الرابع : ما حكم توليد الرجل للمرأة ؟

الجواب : أصل إدخال المرأة المستشفى للتوليد لا يَنبغي القولُ بجوازه مطلقاً، وإنّما لا بدَّ من التحديد والتضييق .

فإذا رأت الطبيبة بعلمها وخبرتها أنّ هذه المرأة - الحامل - سوف تكون ولادتها غير طبيعيّة وأنّها قد تتطلّب إجراء عمليّة جراحيّة عليها، ففي هذه الحالة تُنقل إلى المستشفى .

أمّا إذا كانت الولادة طبيعيّة فلا يجوز أن تخرج من دارها لتدخل المستشفى لمجرّد توليدها توليداً طبيعيّاً، فإذا اضطرت المرأة لدخول المستشفى فيجب أن لا يتولى توليدَها طبيبٌ رجلٌ، فإنْ لم توجد طبيبة فلا بأس مِن باب الضّرورةِ، بل يجب - إذا كانت في حالة خطيرة - أن يُوَلِّدها الطبيب إذا كانت الطبيبةُ غيرَ موجودة .

وهذا الجواب يؤخذ من قاعدتين اثنتين من قواعد أصول الفقه هما :

الأولى : الضرورات تبيح المحظورات .

الثانية : الضرورة تُقدّر بِقَدْرِها .

فالأصل أنّ المرأة لا يجوزُ لها أن تخرج من دارها إلّا لحاجة، كما في « صحيح البخاري »[2] حينما نزل قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ في بُيوتِكنَّ ولا تَبَرَّجْن تبرُّج الجاهليَّةِ الأولى ﴾، قال عليه السلام : « قد أذن اللّه لكُنَّ أن تخرجنَ لحاجتكن » .

---

(١) وهو مخرّجٌ في « الصحيحة » (رقم : ٢٥٠) .
(٢) انظر « غاية المرام » (رقم : ٢٠٠) .

أحوال العالم الإسلاميّ

التحرير

لم يعُد بمقدورِ المرءِ أن يُلملِمَ الخَرقَ؛ لأنّه اتّسع على الراقع، ولا الثوبَ مِن أطرافه؛ لأنّه خَلَقٌ، فهو بحاجةٍ إلى تجديدٍ؛ ليعيشَ المرءُ حميداً، أو يموت شهيداً.

فهذه كلماتٌ يسيرةٌ، تُعَرِّفُكَ - بمنّة الله - حقائقَ الأمور، دونِ مُواربةٍ، ومن غيرِ ضَوضاء !! تعميقاً لحقيقةِ الأُخوّةِ في الله، وتحقيقاً للشعور الصّادق بمعاني التكافل والتآخي.

● الصومال ... و ... عاصفة الأدغال :

فوق ما يعيشه المسلمون في الصومال مِن مجاعةٍ وتشريدٍ، وتقتيلٍ بالنّار والحديد ... جاءَهم جوّاً وبحراً دُعاةُ (إعادةِ الأمل) ... في عمليّةٍ (بوليسيّةٍ) جديدةٍ لا يُريدونَ منها كساءَ العُراة ... ولا إطعامَ الجياع ... ولكنْ ... إرهابَ الجيران (!) وإيجاد مَوْطىء قَدمٍ لهم في القَرن الإفريقيّ، وتَوطيد أركان الجَيب النّصراني في السّودان، بعدما بدأ يتهاوى أمام زحف الجيش السّوداني الإسلاميّ بتوجُّهِهِ !!!

أيُّ (أمَلٍ) هذا الذي يُريدُ فَرْضَه (رُعاةُ البقَر)، وقراصنةُ البَحْر، ودُعاةُ النظام العالميّ الجديد ؟!

إنّها سياسةُ القبضةِ الحديديّة المسيطرة على كلّ إسلاميٍّ إذا كان لمضادّته (عندهم) مصالحُ ؟! ولكنْ بثَوبِ (الشرعيّة الدّوليّة) وحماية المستضعفين !!

ولو لم يكن ذلك كذلك ... فأين مسلمو البوسنة والهرسك .. من (إعادة أملٍ) لهم ؟!

رُغمَ الصِّياح والاستصراخ !!

إنّه الكذبُ المكشوف، والمخادعةُ المفضوحةُ !!

● البوسنة والهرسك ... الذُّبالةُ الأخيرة :

... قبلَ عامٍ تقريباً كانت (ذكرى) مرور خمس مئة عام على **مأساةِ الأندلس** بنارِها ، وظلامِها ، وعظيم بأسِها !!

ومنذ عامٍ – أيضاً – تقريباً ... فُتحت صفحةٌ جديدةٌ مِن صفحات ذلك الصِّراع العقائديِّ الغربيِّ ضدَّ كلِّ ما هو إسلاميٌّ !!

فماذا أنت راءٍ في (البوسنة والهرسك) والمواجهة الصليبيّة الحاقدة للمسلمين ؟!

... ترى القتلَ والتّشريد ... تَرى النّسف والتّدمير ... ترى وَأْدَ الأطفال وهَتكَ النّساء .

إنّها حَربُ إبادة ... ليس فيها هوادة !!

في قَلب أُوربّا هل يَسْمَحُ دُعاةُ **الديمقراطيّة** الكاذبة بنشوءِ نُواةِ دولةٍ إسلاميّة ؟!

إذَنْ : ليس لها إلّا السَّحق والمَحو !!

والمسلمون ... والعَرَب (!) ... ماذا يفعلون ؟!

نشجبُ .. نستنكرُ !!

متى يستيقظُ (النائمون) ليعلموا أنَّ هذا المصيرَ الأسودَ الذي يُحاولُ (الصِّربيُّون) – بل (الغربيُّون) – تحقيقَه في مُسلمي البوسنة والهرسك : هو ذاتهُ المصيرُ المستقبليُّ لكلِّ ما هو إسلاميّ ؟!!

ولكنْ ... هذا الدِّينُ لله .. ونحن عبادٌ لله .. وليس مِن شكٍّ عندنا أنَّ الله – سبحانه – سيُفسد على جميع الماكرين والمُخادعين – كافرين ومُنافقين ! – كيدَهم ومكرَهم ، ﴿ إنَّ رَبَّكَ لبالمِرصاد ﴾ .

● المُهجَّرون في الأرض ... ليسوا أوَّلَ ضحايا اليهود :

أثارت قضيّةُ المُبعدين الأربع مئة ردودَ فعلٍ عالميّةٍ واسعةٍ، من نواحٍ (إنسانيّة) صِرفَة !!

ومُعالجةُ مثل هذه القضيّة لا تكونُ - فقط - من النّاحية الإنسانيّة التي يشترك في إظهارها المسلمُ والكافر !! ولكنّها يجبُ أن تُعالجَ مُعالجةً إسلاميّةً صِرْفةً مبنيّةً على معرفةِ النّفسيّة اليهوديّة الكاذبة التي أُسِّسَت على كَبتِ الحقّ ... وقَتْل دُعاتِه ... وتمويهِ الحقائق ... ونشر الخداع ...

فهل هؤلاء (المُبعَدون) هم أوّل سَوأة يهوديّة تنكشف ؟!

ألم تُسلَب أراضٍ ... وتُدنَّس مُقَدَّسات ؟!

ألم تُشرَّد نساءٌ ... ويُهجَّر شيوخ ؟!

ألم (يُبعَد) مئات الأُلوف مِن المشرَّدين ؟!

إنَّ النّفسيّة اليهوديّة نفسيّةٌ جبانَةٌ رِعديدةٌ ... لا يصلحُ معها استجداءٌ ... ولا تماوتٌ ولا تهاونٌ !!

لا يصلحُ معها مؤتمرات ... وقرارات ... وتوصيات !!

فإذا عُولج اليهودُ على ضَوءِ نفسيّتهم، **وبالنظرة القُرآنيّةِ الواضحةِ** ... فلن تنفعَهم حينئذٍ أسلحةٌ نوويّةٌ ... ولا طائراتٌ (مخفيّة) ... ولا (فيتو) أمريكي ... ولا هيمنة عالميّةٌ صهيونية !!

متى يعرف (النّاس) هذه الحقيقةَ عن هؤلاء القوم !!

لذا؛ فإنّ المُبعدين لن يكونوا (أيضاً) آخرَ القائمةِ ... رُغم أنف كُلِّ مستنكرٍ وشاجبٍ يُعامِلُ (اليهودُ) معاملةً ليست مبنيّةً على الإسلام ... **وحُكم الإسلام** !!

• المدّ الشيعيّ في السّودان :

التوجُّه الإسلاميّ لشعب السودان تَوَجُّهٌ مُباركٌ لا يستنكرهُ مؤمنٌ صفيُّ الإيمان ...

والتوجُّه الإسلاميّ لحكّام السّودان يجبُ أن يُرَشَّدَ ويُسدَّد ، لا أن يُواجَه، وتُفتعَلَ في وجههِ الفجواتُ الفارغةُ الكاذبة !

وإذ نقولُ : « يُرشَّدُ ويُسَدَّدُ » فإنّما نعني بذلك التحذيرَ من الفكر الشيعيّ الذي بدأ - سياسةً - يغزو السّودان وأرضَ السّودان وشعبَ السودان !!

ماذا يعني وجودُ ممثّل شخصي لخامِنئي ؟!

وماذا يعني فتحُ أبوابِ السودان على مِصراعَيها أمامَ الشّيعة ؟

وماذا يعني - بالمقابل - التضييقُ على أهل السُّنَّة ودُعاتها، أو طردُ المجاهدين الأرتيريِّين المسلمين، واعتقال مندوبيهم ؟!

فالشيعةُ لا يؤمنونَ إلّا بمن هو مَعَهُم، وعلى طريقتهم، فتأييدُهم للسُّودان - اليومَ - من بابِ الاستدرارِ للعواطف، التي يكمنُ وراءَها الفكرُ الضلاليُّ الرافضيُّ، الذي يلبسُ لَبوسَ الإسلام، ويتزيَّا بزيِّ الشريعة، لكنّه - في الحقيقة - لا يرقُبُ في أهل السُّنَّة إلّاً ولا ذمَّةً !!

فالواجبُ علينا نصحُ إخواننا المسلمين في السُّودان، وتحذيرُهم من المدِّ الشيعيِّ القادم، الَّذي قد يُتَّخذُ - فوق ضلالِهِ - ذريعةً لِضَربِ السُّودان وَوَأْدِ نهضَتِها قبلَ ولادتها !!

● الجمهوريات الإسلاميَّة المستقلَّة في الاتحاد السوفيتي السابق ... مَن لها ؟!

ما إنْ تَفتَّت الاتِّحاد السوفياتي، (وبدأ) المسلمون هناك يتنفَّسون الصُّعَداء .. وحصلت (بعضُ) الجمهوريَّات الإسلاميَّة على (صورةٍ) استقلالها .. حتى سارَعَ اليهودُ بإقامة علاقات دبلوماسيَّة معَها، ومد جسور التعاون بينهم وبينها !!

ورافقَ ذلك - أيضاً - غزوٌ شيعيٌّ لها من دولة الثَّورة الخُمينيَّة، بإرسال (الآيات) وأعوانهم، تبشيراً بالفكرِ الشيعيِّ (العتيد) !

ورافقَ هذا وذاك إثارةُ فِتَنٍ داخليَّةٍ، وقلاقِلَ عِرقيَّة لِشَغْلهم بذلك عمّا هو (أعظم) منه !!

والمسلمون السُّنِّيُّون ... حكوماتٍ وأفراداً، ماذا صنعوا ؟ وماذا قدَّموا ؟ وإلى متى ينتظرون ؟!

إنَّ هذه الجمهوريَّاتِ الإسلاميَّةَ فيها من القُدُرات العقليَّة العلميَّة، والثروات الماديَّة الطبيعيَّة التي وهبها اللّهُ سبحانه إياهم الشيءُ الكثيرُ الكثيرُ ...

وفيها - فوق هذا كُلّه - أُناسٌ مسلمون طيِّبون، لكنهم - بسبب الضَّغط الشيوعيِّ على مدار سبعين عاماً - لم يعرفوا من الإسلام إلّا اسمَه، ولا مِن القُرآن إلّا رَسمَه !!

نعم؛ هناك دُعاة ... وهناك ملتزمون ... وهناك خيِّرون ... ولكنْ ... ماذا يفعل هذا النَّزْرُ

اليسيرُ تُجاه ذلك السّيل الجارف العاتي الذي وراءه العقولُ الماكرة والأموال الكاثرة ؟!

أفلا يجعلُنا هذا؛ كُلُّه نُفكِّر جديّاً بالسُّبُل والطرائق التي من خلالها نُعيد إلى هذه الجمهوريّات الإسلاميّة هُويّتها الإسلاميّة؛ حقيقةً لا اسماً !

ونحن إذ (نُفكِّر)، فإنَّ (غيرَنا) قد باشرَ وَعَمِلَ ... أَلَا تَرَونَ انَّ زبانيةَ النظام العالمي الجديد، قد حذَّروا (فوراً) تلك الجمهوريّات من (الأصوليّة[1] الإسلاميّة)، وأرشدوها إلى التجربة العلمانيّة التُركيّة !! لتكونَ قدوتَها في الحكم والتصرُّف والخضوعِ لغيرِ اللّه !

● بين المسلمين والسّيخ في الهند :

يعيشُ مُسلمو الهند بين فترةٍ وأُخرى صراعاتٍ عقائديّةً مريرةً مع طائفة السّيخ، وهي من طوائف الهندوس الغُلاة الحاقدين على الإسلام والمسلمين[2] !

وأخيراً : تعدَّى هؤلاء الكُفَّار على مسجدٍ من مساجد المسلمين الأثريّة في الهند، بحجّة (!) أنّه مكانُ مولدِ إلهٍ من آلهتهم !!

ولقد كان نتيجة ذلك الاعتداء أن قُتلَ مئات المسلمين، وحُرِّقت بيوتهم، ودُمِّرَت متاجرهم، ونُهبَت أموالهم !!

تُرى : هل ما يجري في الهند اليومَ حادثٌ مضى، وسَتُنسى آثاره ؟!

أم أنه بدايةٌ لِصراعٍ جديدٍ في بلادٍ استُضعفَ فيها المسلمون، يُراد على إثره استئصالُهم، وضربُهم ؟!

ونأسفُ إذ نقولُ : لم نسمع حتى صيحةَ استهجانٍ لفعائل السّيخ وصنائعهم !

فلعلَّهم بتلك الصّيحة (!) يَرْعون عمّا ينوون فِعلَه، فتخفّ وَطأتُهم، وتقلّ ثورتهم !!

---

(١) وكلمة (الأصوليّة) فيها التباسٌ شديدٌ، لعلّنا نكشفُه في عددٍ لاحقٍ من (**الأصالة**) إن شاء اللّه .

(٢) ونأسفُ إذ نقول : إنَّ آلافاً من (أفراخ) هذه الطائفة الخبيثة والنّحلة الفاسدة يعملون في الدول العربية و (الإسلامية)، ويُموِّلون طائفَتهم بأموالِ المسلمين، ليزدادَ بطشُهم، وتَعظُمَ سطوتُهم على إخواننا مُسلمي الهند وكشمير !! ولا حولَ ولا قوّة إلّا باللّه .

رمضانيات

مَعَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في شَهْرِ رمضان

محمد موسى نصر

إننا نستقبلُ ضيفاً عزيزاً غائباً لا يَفِدُ إلينا إلّا مرّةً في العام، يزورنا غِبّاً فنكون له أشدَّ حُبّاً، ضيفٌ تخفق بحبه القلوب، وتشرئبُّ إليه الأعناق، وتتطلّع الأعين لرؤية هلاله، وتتعبّد النفوسُ المؤمنة ربَّها بذلك .

وهذا الضيف الكريم المبارك يعرفه المؤمنون حقاً لأنهم هم أنفسُهم الذين يؤدُّون حقَّه ويقدرونه قدره فيكرمون وِفادَتَهُ صدقاً وعدلاً .

إنَّ اللّه رفع قَدْرَ هذا الضيف في القرآن، وعلى لسان النّبي العَدنان ﷺ، فجعل الخير كله فيه؛ **في أوَّله ووسطه وآخره**؛ قال تعالى : ﴿ شهرُ رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وَبيّناتٍ من الهدى والفرقان ﴾ .

لا شكَّ أنّك عرفت أخي القارئُ من هو هذا الضيف !!

تُرى ما هيَ خصائصُه وما هيَ فضائلُه ؟! حتى تستعدَّ لاستقباله وتُشمِّر عن ساعد الجد لاهتبالِه، لتنال ما أودع اللّه فيه من خير وبركة ورحمات :

هذا الشهر أنزل اللّهُ القرآنَ فيه، ولو لم يكن فيه إلّا هذا الفضل لكفى، فكيف وفيه ما فيه ما اللّه أعلم به من مغفرة الذنوب، ورفع درجات المؤمنين، ومضاعفة الحسنات، وإقالة العثرات، يُعتق اللّه في كل ليلة من لياليه عتقاء من النار .

وهو شهرٌ تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتُصَفَّد فيه الشياطين،

ينزل فيه ملكان يقول الأول : يا باغي الخير أقبل، ويقول الثاني : يا باغي الشر أقصر » .

فيه ليلةٌ من حُرِمَها حُرِم خيراً كثيراً؛ ليلة يُفْرَقُ فيها كل أمر حكيم .

إنَّها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .

وإنَّ الوقوف على هديه ﷺ في كلِّ طاعة أمرٌ في غاية الأهميَّة، خصوصاً هديه في شهر رمضان، لأنَّ العمل الصالح لا يرفع للعبد إلّا إذا أخلص فيه للّه وجرَّد المتابعة لرسول اللّه ﷺ؛ فالإخلاص والمتابعة هما ركنا قَبول العمل الصالح، وهما كجناحي الطائر، فهيهات أن يُحَلِّق الطائر بجناح واحد !!

وفي هذه السطور نقف وإيَّاك أخي القارئ على أحواله ﷺ في رمضان، باختصارٍ واعتصارٍ، لتكونَ على بَيِّنَةٍ من هديِهِ صلواتُ اللّه وسلامُه عليه، فمن لم يكن مع الرسول ﷺ في هديه في الدنيا لم يكن معه في دار الكرامة في الآخرة، إذ الفلاح كلُّ الفلاح في اتباع رسول اللّه ﷺ ظاهراً وباطناً، ولا يُنال ذلك إلّا بالعلم النافع، ولا يُوجد علمٌ نافعٌ إلّا بعمل صالح، فثمرةُ العلمِ النَّافع العملُ الصَّالحُ .

فيا عبداللّه إليك بعض أحواله[1] ﷺ وهديه في رمضان لتتأسَّى به فتنال محبَّته وتُحشر معه :

○ كان ﷺ لا يصوم حتى يرى الهلال رؤيةً مُحَقَّقَةً أو بإخبار العدل أو بإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً .

○ وكان ﷺ يكتفي بشهادة الواحد، وفي هذا حُجَّةٌ على قَبول خبر الواحد .

وثبت أنَّ الأمَّة صامت برؤية أعرابي جاء من البادية فأخبر النَّبيَّ ﷺ أنَّه رأى الهلال فأمر ﷺ بلالاً أن يؤذن بالصيام .

(١) وكلُّ ما في هذا المقال أحاديثُ صحاحٌ، معظمُها في « الصحيحين » أو أحدهما .

○ وكان ﷺ ينهى أمّته أن تتقدّم رمضان بصوم يوم أو يومين احتياطاً وتعمقاً إلّا أن تكون عادةً لأحدهم؛ لذلك نهى عن صيام يوم الشك .

○ وكان ﷺ يُبَيِّت النيّةَ من اللّيل قبل الفجر، وأمر أمّته بذلك .

وهذا الحكم من خصوصات صيام الفريضة، أمّا صيام النافلة فلا يشمله هذا الحكم .

○ وكان ﷺ لا يُمسك عن الأكل والشرب والـمُفَطّرات حتى يرى الفجر الصادق رؤيةً مُحَقَّقَةً عملاً بقولِ اللّهِ تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبيّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ ﴾ .

وبين ﷺ لأمّته أنّ الفجر فجران صادق وكاذب، فالكاذب لا يحرم طعاماً ولا شراباً ولا جماعاً، ولم يكن ﷺ يُشَدِّد على أمّته في رمضان ولا في غيره، فلم يشرع لهم ما يسمى - بغير حقّ - أذانَ الإمساك .

○ وكان ﷺ يُعَجّل الفطور ويُؤَخّر السحور، ويأمر أمّته بذلك قائلاً : « لا تزال أمّتي بخير ما عجّلوا الفطور » .

○ وكان بين سحورِه ﷺ وقيامه لصلاة الفجر قَدْرُ قراءة خمسين آية .

○ وأمّا أخلاقه ﷺ فحدِّث عن حُسنها ورِفعتها ولا حرج؛ فقد كان ﷺ أحسن الناس أخلاقاً، كيف لا وقد كان خلقه القرآن، كما وصفته أم المؤمنين عائشة .

وقد أمر ﷺ أمّته بحُسْنِ الـخُلُق خصوصاً الصائمين منهم فقال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للّه حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه » .

○ وكان يتعاهدُ أهله ويُحسن عشرتهم في رمضان أكثر من غيره .

○ وكان لا يمنعُه الصيامُ من تقبيلِ أهله ومباشرتها وكان أَمْلَكَ النّاسِ لإربه .

○ ولم يكن يدع السّواك في رمضان وغير رمضان؛ يطهر فاه ويُرضي ربّه .

○ وكان ﷺ قد احتجم وهو صائم، ورخّص بالحجامة للصائم؛ وخلاف ذلك

منسوخ .

○ وكان ﷺ يُجاهد في رمضان، ويأمر أصحابه بالفطرِ لِيَقْوَوْا على ملاقاة عدوِّهم .

ومن رحمته ﷺ بالأمّة أنْ رخّص للمسافر بالفطر، وللمريض، والشيخ الفاني، والمرأة العجوز، والمرأة الحامل أو المرضع، فيقضي المسافر، ويُطعم الشيخ الفاني والحامل أو المرضع .

○ وكان يجتهدُ في العبادةِ والقيام في رمضان ما لا يجتهدُ في غيره، خصوصاً في العشر الأواخر يلتمس ليلة القدر .

○ وكان يعتكفُ في رمضان وخصوصاً في العشر الأواخر واعتكف في العام الذي تُوُفّي فيه عشرين يوماً، وكان لا يعتكف إلّا صائماً .

○ وأمّا مدارسته للقرآن : فلم يكن أحدٌ يجتهد اجتهاده، وكان جبريلُ يلقاه فيدارسه القرآن في رمضان لأنّه شهر القرآن .

○ أمّا جودُه وكَرَمُهُ في رمضان فلا يُوصف؛ فقد كان ﷺ كالريح المرسلة بالخير لا يخشى من ذي العرش إقلالاً .

○ وكان ﷺ أعظم المجاهدين ولم يمنعه الصيامُ من المشاركة في الغزوات، فقد غزا ستَّ غزواتٍ في تسع سنواتٍ؛ كلُّها في شهرِ رمضان، وقام بأعمالٍ جِسَامٍ في رمضان، حيث هدم مسجد الضِّرار، وهدم أشهر أصنام العرب، واستقبلَ الوفود، وتزوَّج بحفصة أم المؤمنين، وفتح مكة في رمضان .

والخلاصة : أنَّ شهر رمضان شهرُ اجتهادٍ وجهادٍ وتضحية في حياة الرسول ﷺ لا كما يفهمُ (ويفعلُ) كثيرٌ من مسلمي زماننا أنّه شهرُ دَعَةٍ وكسلٍ وخمولٍ وبطالةٍ !!

فاللهمّ وَفّقنا لاقتفاء أثر نبيّك ﷺ، وأحينا على سُنَّته، وَأَمِتْنا على شريعته .

رمضانيات

وظائف المؤمن في شهرِ الصِّيامِ

علي بن حسن

للمؤمن في شهرِ رمضان وظائفُ شرعيَّة، بيَّنها له رسولُ اللهِ ﷺ بسُنَّته القوليَّة، وسيرته العمليَّة، أذ هو « موسمُ الخيرات، لأنَّ نِعَمَ اللَّهِ على عبادِهِ فيه زائدةٌ على غيرهِ » .[1]

وهذه الوظائفُ تنتظمُ أموراً مِن الأحكامِ الشرعيَّة تشملُ شهرَه كلَّه مُفْعَمة بصنائعِ البرِّ، وأعمال التقوى :

أوَّلاً : الصِّيام :

○ وفضلُه عُموماً عظيمٌ؛ لقولِهِ ﷺ - فيما رواه مسلمٌ - : « كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ له إلّا الصيامَ؛ هو لي، وأنا أجزي به، فوالَّذي نفسُ محمدٍ بيدِه لَخُلُوف فم الصائم أطيبُ عندَ اللّه من ريح المسك » .

قال الإمامُ المازَريُّ في « المُعلم بفوائد مسلم » (٢ / ٤١) :

« تخصيصه الصومَ ها هنا بقولِه : « لي » وإن كانت أعمالُ البرِّ المُخلَصَةُ كلُّها له تعالى - لأجلِ أنَّ الصومَ لا يُمكن فيه الرِّياءُ، كما يُمكن في غيرِه مِن الأعمالِ، لأنه كفٌّ وإمساكٌ، وحالُ المُمسكِ شبعاً أو لِفَاقَةٍ كحال المُمسكِ تقرُّباً، وإنَّما القَصدُ وما يُبطِنُه القلبُ هو المُؤثِّرُ في ذلك، والصلواتُ والحجُّ والزَّكاةُ أعمالٌ بدنيَّةٌ ظاهرةٌ يُمكن فيها الرياءُ والسُّمعة، فلذلك خُصَّ الصومُ بما ذكره دونَها » .

○ وفوق هذا الفَضْل - بعمومِه - الفضلُ الخاصُّ الواردُ في شهرِ رمضانَ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ : « مَن صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدَّم مِن ذنبِه » .[2]

---

(١) « فتح الباري » (٣١/١) .
(٢) متفق عليه عن أبي هريرة .

ويقولُ ﷺ : « شَهرُ الصَّبر، وثلاثةُ أيّامٍ مِن كُلِّ شهرٍ صومُ الدّهر » .[1]

« يعني بشهر الصبر شهرَ رمضانَ » .[2]

قال ابنُ عبدالبرّ[3] مُبَيِّناً : « والصومُ في لسان العَرَب أيضاً الصَّبرُ؛ ﴿ إنّما يُوَفَّى الصابرون أجرَهم بغير حسابٍ ﴾، وقال أبو بكر ابن الأنباري : الصوم يُسمّى صبراً، لأنه حبسُ النّفسِ عن المطاعم والمشارب، والمناكح والشهوات » .

ثانياً : القِيام :

وهو سُنّةٌ في جماعةٍ طيلةَ الشهرِ المبارك، لقولِه ﷺ : « إنّه من قامَ مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيامُ ليلةٍ » .[4]

وفي فضله يقولُ ﷺ : « مَن قامَ رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبِه » .[5]

وأكملُ الهَدي في العَدَدِ الذي يُصَلّى فيه القيامُ في رمضان - وغيره - ما صحّ عنه وثبت مِن فعلِه ﷺ مِن صلاةِ الإحدى عشرة ركعةً، لأنه ﷺ الأُسوةُ الكاملةُ، والقدوةُ التامّةُ .

ثالثاً : الصَّدَقة :

إذ الرسولُ ﷺ كانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ .[6]

وهذا الجودُ يشملُ جميعَ معاني الصدقةِ، وأعمالِ الخيرِ، إذ « الجودُ هو سَعَةُ العطاءِ وكثرتُه »[7]، وهذا شاملٌ لكثير من أعمال البرّ، وصنائع المعروف .

رابعاً : تفطير الصّائم :

فقد حضّ على ذلك رسولُ اللّهِ ﷺ ورتّب عليه كثيرَ الأجرِ وعظيمَ الثوابِ، فقال ﷺ :

---

(1) رواه النسائي (٤/٢١٨)، وأحمد (٢/٢٦٣و٣٨٤)، والطيالسي (٣١٥)، والبيهقي (٤/٢٩٣) عن أبي هريرة بسند صحيح .

(2) « التمهيد » (١٩/٦١) .

(3) المصدر السابق .

(4) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن نصر، عن أبي ذر بسند صحيح .

(5) متفق عليه .

(6) متفق عليه .

(7) « لطائف المعارف » (ص:١٧٣) لابن رجب .

« مَن فَطَّر صائماً كان له مثلُ أجرِه، غيرَ أنَّه لا يَنقُصُ من أجرِ الصائم شيئاً » .[1]

خامساً : قراءة القرآن :

فشهرُ رمضان هو شهرُ القُرآن، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ شهرُ رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هُدىً للناس وبيِّناتٍ من الهُدى والفُرقان ﴾ .

وفي السُّنَّة العمليَّة للنبي ﷺ تطبيقُ ذلك، فقد كان جبريل يُدارسُ النَّبيَّ ﷺ القُرآن في كل ليلةٍ مِن رمضانَ .[2]

سادساً : العُمرة :

فقد روى الشيخانِ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : « عُمرة في رمضانَ تعدلُ حَجَّةً معي » .

فانظروا - رحمكم الله - لهذا الفضلِ ما أعظَمَه، وما أفضلَه !

سابعاً : تحرِّي ليلة القَدْر :

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إنَّا أنزلناه في ليلةِ القَدرِ ۝ وما أدراكَ ما ليلةُ القَدرِ ۝ ليلةُ القَدرِ خيرٌ مِن ألفِ شَهرٍ ﴾ .

وفي « الصحيحين » أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « مَن قامَ ليلةَ القَدرِ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدَّم مِن ذنبِه » .

وهي في مفاريد العشر الأواخر مِن رمضانَ .

وعن عائشة رضي اللَّهُ عنها - فيما رواه الترمذي وابن ماجه بالسند الصحيح - قالت : يا رسولَ اللَّه ! إنْ وافقتُ ليلةَ القَدر ما أقولُ ؟

قال : « قولي : اللَّهمَّ إنَّك عَفُوٌّ تحبُّ العَفوَ فاعفُ عَنِّي » .

□ فهذا - أخي المسلم - مُختصرٌ مِن القولِ حول ما ينبغي سلوكه من وظائف شرعيَّةٍ في هذا الشهر المبارك، وأمَّا الوظيفةُ الكاملة التي يجبُ على المسلمِ حفظُها في شهرِ الصَّبر هذا، فهي الكَفُّ عن المساوئ، والصبرُ على الأذى، وحفظُ الباطن، وأداءُ حقِّ الظاهر بالالتزام بأحكام الإسلام والاتباع لسُنَّةِ النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام .

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن زيد بن خالد بسند صحيح .
(٢) رواه البخاري .

رمضانيات

من بدع الصيام والقيام في رمضان

سليم الهلالي

صيام شهر رمضان له المنزلة الفُضلى والمكانة العُظمى في الإسلام، ولمن صامه إيماناً واحتساباً ما يعلمه اللّه وَحْدَه من الأجر والفضل والإنعام، ولكن ذلك يختلف زيادةً أو نقصاً بنسبة قُربه أو بُعده من سنّة سيّد الأنام عليه الصّلاةُ والسّلام .

ولذلك لا بدَّ من تذكير الأخوة الصائمين بأمور ليست من هدي سيد المرسلين، لأنها بدع ومُحدثات؛ فهي بالرد قمين، وسَأذكُرها على ترتيب يوم الصائم وباللّه وحده أستعين :

أولاً : من بدع التسحور والأذان :

١ - تعجيل التسحور .

٢ - الإمساك عن الأكل والشرب عند الأذان الأوّل الذي يسمونه « أذان الإمساك » .

٣ - إخراج الطعام والشراب من الفم إذا سُمِعَ الأذان .

٤ - تقديم الأذان عن موعد الفجر الصادق - زعموا - احتياطاً .

٥ - التلفُّظ بالنيّة عند التسحور .

ثانياً : من بدع الإفطار وغيره :

١ - تأخير الإفطار بدعوى تمكين الوقت .

٢ - صيام النساء وهنَّ حُيّض طول النّهار في رمضان، وقبيل الغروب يَنجرَحنَ صيامهنّ - كما يَقُلنَ - على لقمةٍ أو جرعةِ ماء !

٣ - توحيش الخطباء على المنابر في آخر رمضان، حيث يقولون : لا أوحشَ اللّه

منك يا رمضان، لا أوحش الله منك يا شهر القرآن .

٤- نشيد توديع رمضان، وهو يشبه التوحيش حيث ينشدون في العشر الأواخر :

لا أوحش الله منك يا رمضان يا شهر الهدى والقرآن

قد كان شهراً طيّباً ومباركاً ومُبِشّراً بالخير من مولانا

هكذا يقول المنشد، ويرد عليه الحاضرون : لا أوحش الله منك يا رمضان .

٥ - الإمساك عن التسوّك بعد الزّوال .

٦ - السفر في رمضان من أجل الإفطار .

ثالثاً : من بدع قيام رمضان (صلاة التراويح) :

١ - نَقْر صلاة التراويح كَنَقْر الغراب، فإنّ بعض الأئمّة يصلّون صلاة التراويح ثلاثاً وعشرين ركعة في أقل من ثلث ساعة .

٢ - الاقتصار على سورة معيّنة في صلاة القيام، فبعض الأئمّة يقرأ في التراويح بسورة الفجر، أو الأعلى، أو رُبع سورة الرّحمن .

ومن الغرائب، أنّ هناك بعض الطرق الصوفيّة، يُعَلّمون أتباعهم قراءة سورة البروج في صلاة التراويح حيث يقرأ الإمام في كل ركعة بآية .

٣ - الفصل بين كل ركعتين بقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، ثم الصلاة والسّلام على رسول الله .

٤ - قولهم بعد الأربع ركعات الأولى : شيخ التحقيق أبو بكر الصدّيق ترضُّوا عنه .

وبعد ثمان ركعات : شهيد المحراب عمر بن الخطاب ترضُّوا عنه .

وبعد اثنتي عشرة ركعة : ذو النورين عثمان بن عفّان ترضُّوا عنه .

وبعد ستّ عشرة ركعة : الإمام علي بن أبي طالب ترضُّوا عنه .

وفي ذلك كلّه يقول المصلّون - بصوتٍ جماعيٍّ مُرتفعٍ، وعلى نغمةٍ واحدةٍ - : رضي الله عنه ..

رابعاً : بدع صلاة التسابيح في رمضان :

١ - تخصيصها في رمضان .

٢ - صلاتها جماعة .

٣ - تخصيص صلاتها ليلةَ القدر .

خامساً : صلوات مبتدعة في رمضان[1] :

١ - صلاة ليلة القدر المسمّاة صلاة القدر .

٢ - صلاة الجمعة اليتيمة، وهي آخر جمعة في رمضان، ويصلّيها أهل كل بلد في مسجد مخصوص، فأهل مصر يصلّونها في جامع عمرو، وأهل فلسطين يصلّونها في المسجد الإبراهيمي أو المسجد الأقصى .

٣ - صلاة المكتوبات الخمس عقب صلاة الجمعة اليتيمة، زاعمين أنّها تُكفِّر الذّنوب، أو تُكفِّر الصلوات المتروكة .

٤ - بدعة حفيظة رمضان، وهي :

« لا آلاءَ إلّا آلاؤك سميع محيط ، **كعسلهون**[2]، وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل » .

زعموا أنّها إذا كُتبت في آخر جُمعة في رمضان والخطيب على المنبر حفظت مِن الحرق والغرق والسّرقة والآفات .

○ وسائرُ هذه البدع موجودةٌ في معظم البلاد، وبعضُها يُوجَدُ في بعضِ البلادِ دون بعضٍ، ولو استَقصَينا ذِكرَ البدع كلّها في جَميع البلاد لخرج هذا المقال عن مقصوده ومُراده، وإنّما المُرادُ التّنبيهُ والتّذكيرُ .

(١) جُلّ هذا البدع مأخوذةٌ عن كتاب « السنن والمبتدعات » للشقيري .

(٢) يدلُّ هذا اللّفظُ المنكرُ الغريبُ على أنّ هذه (الحفيظةَ) المزعومةَ حفيظةٌ شركيّةٌ .

رمضانيات

مِن أخطاءِ النَّاسِ حولَ ليلةِ القَدْرِ

مشهور بن حسن

أخطاءُ النَّاس ومخالفاتُهم في الصيامِ والقيام كثيرةٌ شهيرةٌ، سواءٌ في اعتقاداتهم وأحكامهم وممارساتهم، فيظنون - وبعضهم يعتقدُ - أموراً ليست من الإسلام في شيء تُجاه هذا الركن العظيم من أركان الإسلام؛ ويستبدلون - فيه وفي غيره - الذي هو أدنى بالذي هو خير، اتِّباعاً لليهود، الذين نهى النَّبي ﷺ عن مشابهتهم، وأكَّد وحثَّ على مخالفتهم .

ومن هذه الأخطاء أخطاء تخصُّ ليلة القدر، ونقسِّمها إلى قسمين :

القسم الأوَّل : أخطاء في التصوُّر والاعتقاد؛ ومن ذلك :

○ اعتقاد كثير من النَّاس أنَّ لليلة القدر علاماتٍ تحصل وتقع لبعض العباد فيها وينسجون حول ذلك خرافات وخزعبلات، فيزعمون أنَّهم يرون نوراً من السماء، أو تُفتح لهم فجوةٌ مِن السماء !! ... إلخ .

ورحم اللَّهُ الحافظَ ابن حَجَرٍ، فإنَّه ذكر في « الفتح » (٤ / ٢٦٦) أنَّ الحكمة في إخفاء ليلة القدر حصولُ الاجتهاد في التماسها، بخلاف ما لو عُيِّنت لها ليلة لاقْتُصِرَ عليها.

ثُمَّ نقلَ عن الطبري أنَّه اختارَ أنَّ جميع العلامات غيرُ لازمة فيها، وأنَّها لا يُشترط لحصولها رؤية شيء أو سماعه، وقال : في إخفاء ليلة القدر دليلٌ على كذب من زعم أنَّه يظهر في تلك اللَّيلة للعيون ما لا يظهر في سائر السَّنة، إذ لو كان ذلك حقًّا لم يَخْفَ على كلِّ من قام ليالي السَّنة فضلاً عن ليالي رمضان .

○ قولُهم بأنَّها رُفعت أصلاً . وقد حكاه المتولِّي من الشافعيَّة في كتابه « التتمَّة » عن الرافضة، وحكاه الفاكهاني في « شرح العمدة » عن الحنفيَّة !!

وهذا تصوُّر فاسدٌ، وخطأٌ شنيعٌ مبنيٌّ على فَهم مغلوطٍ لقَولِ النَّبي ﷺ - لمَّا تلاحى رجلان في ليلة القدر - : « إنَّها رُفعت » !! والرد على هذا الاستدلال من وجهين :

الأوَّل : قال العلماء : المقصود بـ « رُفعت » أي : من قلبي، فنسيتُ تعيينها للاشتغال بالمتخاصمين، وقيل : المعنى رُفعت بركتُها في تلك السَّنة، وليس المرادُ بأنَّها رُفعت أصلاً،

ويدلُّ على ذلك ما أخرجه عبدالرزاق في « مصنَّفه » (٤/٢٥٢) عن عبدالله بن يَحْنُس قال : قلت لأبي هريرة : زعموا أنَّ ليلة القدر رُفعت !! قال : كذب من قال ذلك .

الثاني : عمومُ الأحاديث التي فيها الحثُّ على قيامها، وبيانُ فضلها، كمثلِ ما أخرجه البخاري وغيره من قوله ﷺ :« من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّم من ذنبه ».

قال النَّووي : واعلم أنَّ ليلةَ القدر موجودةٌ، فإنَّها تُرى، ويتحقَّقُها مَن شاء اللَّهُ تعالى مِن بني آدم كُلَّ سنة في رمضان، كما تظاهرت عليه هذه الأحاديث وإخبار الصالحين بها، ورؤيتُهم لها أكثرُ من أن تُحصر .

قلت : نعم؛ إمكانيَّةُ معرفة ليلة القدر واردةٌ، فقد تتضافرُ العلاماتُ التي أُخبر بها ﷺ على أنَّها ليلةٌ ما من ليالي رمضان، ولعلَّ هذا هو المرادُ من قول عائشة - فيما أخرجه الترمذي وصححه - قلت : يا رسول اللَّه أرأيتَ إنْ علمتُ أيَّ ليلةِ القَدْرَ ما أقول فيها ؟ ففي هذا الحديث - كما يقول الشوكاني في « نيل الأوطار » (٤ / ٣٠٣) - : « دليلٌ على إمكان معرفة ليلة القدر وبقائها » .

وقال الزُّرقاني في « شرحه على الموطأ » (٢ / ٤٩١) : « ومن زعم أنَّ المعنى - أي : الوارد في الحديث المذكور - رُفعت أصلاً - أي : وجودها - فقد غلط، فلو كان كذلك لم يأمرهم بالتماسها، ويؤيِّد ذلك تتمَّةُ الحديثِ : « ... وعسى أن يكون خيراً لكم »؛ لأنَّ إخفاءها يستدعي قيام كل الشهر، بخلاف ما لو بقي معرفتها بعينها » .

فليلةُ القدر باقيةٌ إلى يوم القيامة، وإن كان تحديدُها خفيّاً على وجهٍ يقطع اللَّبس والغموض، وإن كان الرَّاجحُ أنَّها في العشر الأواخر منه، والأدلَّةُ ترجِّح أنَّها ليلة السابع والعشرين، ولكنَّ القطعَ بذلك على وجه اليقين صعبٌ وعسيرٌ، واللَّه أعلم .

القسم الثاني : أخطاء في العمل والسلوك : وما يقعُ فيه النَّاسُ في ذلك ليلةَ القدر كثيرٌ جدّاً، ولا يكاد يَسْلَمُ منها إلَّا من عصم اللَّهُ، من ذلك :

○ البحث والفَتْش عن تعيينها، والانشغالُ - برصد أماراتِها - عن العبادة والطاعة فيها .

فكم نرى بين المصلِّين مَن يشتغل بهذا عن تلاوة القرآن والذكر والعلم، فتجدُ الصالح منهم - قُبيل طلوع الشمس - يَرقُبُ قُرصَ الشمس ليعلم هل لها شعاعٌ أم لا ؟

وعلى هؤلاء أن يتمعَّنوا فيما ورد من قوله ﷺ : « ... فعسى أن يكونَ خيراً لكم »

ففيه إشارةٌ إلى عدم تعيينها، قال أهل العلم - مستنبطين من هذا القول النّبويّ أنَّ إخفائها أفضل - قالوا : والحكمةُ في ذلك : أن يجتهدَ العبدُ ويُكثرَ من العمل في سائر اللّيالي رجاءَ موافقتها، بخلاف ما لو عُيِّنت له لاقتصر على كثرة العمل في ليلةٍ واحدةٍ ففاتتهُ العبادةُ في غيرها، أو قلَّ فيها عَمَلُه، بل استنتج بعضُهم منه أنَّ الأفضل لمن عرفها أن يكتُمَها بدليل أنَّ اللَّه قدَّر لنبيِّه ﷺ أنَّه لم يُخبر بها، والخير كلُّه فيما قُدِّر له، فَيستحبُّ اتِّباعه في ذلك .

○ ومما سبق يُعلم خَطأُ كثيرٍ من النّاس في إقبالهم على القيام خاصَّة، - والعبادة عامَّة - في ليلة السابع والعشرين؛ جازمين - أو شبهَ جازمين - أنَّها ليلةُ القَدْر (!)، ثمَّ هجرُهم القيامَ والاجتهادَ في الطاعةِ سائرَ اللّيالي، ظنّاً منهم بأنَّ لهم أجرَ عبادةٍ ما يزيدُ على ألفِ شهرٍ في إحياءِ هذه اللّيلةِ حَسْبُ !!

وهذا الخطأُ يجعلُ كثيراً من النّاسِ يغالونَ في الطّاعةِ في هذه اللّيلةِ، فتراهُم لا ينامون - بل لا يَفتُرُونَ - عن الصلاة، مع (مجاهدة) النّفس بعدم النّوم، وربما صلّى بعضهم - وأطالَ القيامَ - وهو يُدافعُ بجهدٍ بالغٍ النّعاسَ، وقد رأينا بعضَ مَن ينامُ منهم في السجود !!

وفي هذا مُخالفةٌ لهدي النّبيِّ ﷺ في أمره بعدم عمل ذلك من جهةٍ، وأنّه من الآصار والاغلال التي رُفعت عنّا - بفضلِ اللّه ومَنِّهِ - من جهةٍ أخرى .

○ ومن أخطائهم في هذه اللّيلة انشغالُهم بترتيب الاحتفالات، وإلقاء الكلمات والمحاضرات (!)، - وبعضهم ينشغل بالنشيدِ والتّغبير !! - عن الطاعات والقُربات .

وترى بعضَ المتحمّسين يطوفُ بالمساجد لإلقاء آخِرِ الأخبارِ !! وتحليلِها على وجهٍ يُخرج هذه اللّيلةَ عن المقصود الشرعيِّ الذي من أجلها شُرعت وَوُجدت .

○ ومن أخطائهم تخصيصُ بعض العبادات فيها، كصلاةٍ خاصَّة لها .

وبعضهم يصلي فيها على وجهٍ دائمٍ جماعةً - بغيرِ حُجَّةٍ - صلاةَ التّسابيح !!

وبعضهم يؤدي في هذه اللّيلة - بزعمِ البركةِ - صلاةَ حِفظِ القرآن ! ولا تَثْبتُ .

والمخالفاتُ والأخطاءُ المتعلّقةُ بليلةِ القدرِ - مما يقعُ فيهِ الكثيرُ مِنَ النّاسِ - متنوِّعةٌ متكاثرةٌ، لو استقصيناها وتتبّعناها لطالَ بنا القولُ، وما أوردناهُ ها هنا نَزْرٌ يسير، يُفيدُ طلّابَ العلمِ، والرّاغبينَ بالحقِّ، والباحثينَ عن الصَّوابِ .

القُرَّاء .. منهم .. وإليهم

التحرير

● **الأخ بسام سعيد – عمان .**

وصلتنا منه رسالة مطوّلة مكوّنة من ستٍّ صفحات .

نشكرك يا أخ بسام على نصائحك ونقداتك، وإن كانَ في بعضها نَظَرٌ صدر عن سرعةٍ في الحكم واستعجال، و (**الأصالة**) ما زالت في عددها الأوّل، والخير على الطريق قادم إن شاء اللّه آملينَ أن تصل الرسالة إلى المستوى المرجوّ لها مع تحياتها لكم، وجزاكم اللّه خيراً .

● **الأخ زكريا محمد هاني : دار البخاري – طرابلس لبنان .**

أرسل إلينا رسالةً يُعبّر فيها عن فرحته بـ (**الأصالة**) وسروره بصدورها .

ونقول : أثلجت صدورنا مشاعرك تجاه رسالتنا (**الأصالة**) آملينَ أن يتواصل التعاون بيننا .

أمّا بخصوص طلبكم فهو قيد الدراسة مع أسرة تحرير **الأصالة**، وسنعلمكم به قريباً إن شاء اللّه، وشكر اللّه لكم حِرْصَكم .

● **الأخ عبداللّه يوسف العجلان – الرياض .**

وصلتنا منه رسالة يقول فيها :

عندما أحضر لي بعضُ الأخوة وفّقهم اللّه تعالى (**الأصالة**) ورأيتها وقرأتها وعرفت أسماء كاتبيها سعدت بذلك أيما سعادة، واستبشرَ قلبي لعلمي بأنَّ هؤلاء الكاتبين

نحسبهم - والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً - يسيرونَ على نهج السلف الصالح، ويدعون إلى العودة للكتاب والسنّة بفهم سلف الأمّة رضي الله عنهم أجمعين ...... فهنيئاً لنا بهذه المجلّة، وإنّي أسأل الله أن يضاعف الأجر والثواب للقائمينَ عليها ......

هذه كلمةٌ أبى قلمي إلّا أن يخطّها ويسطر حروفَها تعبيراً عما في قلبي من فرحة وسعادة بصدور هذه المجلّة .

الأصالة : نرجو أن نكون عند حُسن ظن إخواننا بنا لمواصلة طريق **الأصالة** الأصيل .

وجزاك الله خيراً على تنبيهك على بعض الأخطاء الواردة في رسالة **الأصالة**، ونحن نَفرَحُ بمثل هذه التنبيهات كثيراً .

وقد عَرضنا سؤالك على شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني، وترى الجوابَ عليه في العدد القادم إن شاء الله .

● **الأخ محمد يوسف - الرياض .**

أرسل رسالة إلى أسرة تحرير **الأصالة** يبارك فيها صدور هذه الرسالة ويطلب إرسال العدد الأوّل منها ويسأل عن كيفية الإشتراك فيها ؟

الأصالة : شكراً لكم يا أخ يوسف على رسالتك وثنائك على **الأصالة**، وتفصيل طريقة الاشتراكات تجدها مثبتة في العدد الثاني من **الأصالة**، ويمكنك مراجعة المكتبات المتخصّصة لتأمين ما تحتاج إليه من أعداد، وأهلاً بك صديقاً معنا في « **الأصالة** » آملين أن يستمر التّواصل بيننا وشكراً .

● **د. مالك الأحمد - الرياض .**

أرسل إلى مجلة « **الأصالة** » رسالة من صفحتين كبار يقول فيها :

اطّلعت على مجلتكم المباركة « **الأصالة** » بعددها الأوّل وسرّني جدّاً صدورها في هذا الوقت العصيب، وفي تلك البلاد المباركة « الشام »، ووجدتها نافعة في موضوعاتها

جميلة في لغتها .

وقد قدَّم لنا الأخ الفاضل عدَّة نصائح وتوجيهات، نذكر منها النصائح التالية :

- البعد عن الأسلوب الصحفي لأنَّ المنهج العلمي يتطلب النَّقد الموضوعي الرصين القائم على الأدلَّة وتجنب إطلاق الألفاظ جزافاً .

- يركِّز الأخ مالك على ضرورة الابتعاد عن الحزبية، وأن يكون واقعاً لا دعوى في المجلَّة .

- يقترح حذف ذِكْرَ أسماء الكتاب ومقالاتهم من الغلاف الخارجي .

والأصالة تشكر الدكتور مالك الأحمد على نصائحه وآرائه التي تدل على محبَّةٍ للمنهج وغَيْرَةٍ عليه، وستعمل على أن تكون عند حسن ظن الأُخوة، والبداية صعبة دائماً والكمال للَّه وحده، وجزى اللَّهُ الدكتور مالك الأحمد خيراً، ومرحباً به زميلاً مُشارِكاً لِـ « **الأصالة** » .

فأمَّا نصائحُهُ الأُخرى فبعضُها (خاصٌّ) لعلَّنا نُرسلُ له - إن شاءَ اللَّه - رسالةً شخصيَّةً بشأنها

● **الأخ خالد بن عبداللَّه الجديد - الرياض .**

بعث إلى « **الأصالة** » برسالة يقول فيها :

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ... وبعد :

أفيد فضيلتكم أني اطّلعت على العدد الأوَّل من المجلَّة ... وقد أُعجبت بها لما احتوته من مقالات ولمنهجها، أسأل اللَّه أن تَستمرُّوا فيه وأرجو اعتباري مشتركاً من العدد الأوَّل، وما هي قيمة الاشتراك ؟

والأصالة ترحب بك يا أخ خالد صديقاً لها، ومرحباً بك .

وقيمة الاشتراكات تجدها في العدد الثَّاني وقد صدر والحمد للَّه .

● **الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف المحاضر في كليّة أصول الدين بجامعة الإمام في الرياض :**

وصلت منه - جزاه الله خيراً - رسالة يقولُ فيها :

سُررت بمناسبة خروج العدد الأوّل من مجلتكم « **الأصالة** »، ولا شك أنّها بداية جميلة وطيبة، فلقد حوت المجلّة جملاً رائعة من مقالات علميّة وتربويّة جيّدة، وإخراج فني سليم، مع دعواتي للمجلّة بمزيد من التقدم والتسديد، والاهتمام بجميع مجالات المجتمع وبالذات ما يتعلق بالأسرة والطفل، وأن تسعى المجلّة إلى توسيع دائرة كُتّابها، وتوطيد العلاقة مع المنابر الإعلاميّة الدّاعية إلى مذهب السّلف الصّالح .

مع دعواتي لكم بالتّوفيق لكل خيّر والسلام عليكم .

الأصالة : نشكر الأخ الفاضل الشيخ عبدالعزيز آل عبداللطيف على رسالته القيمة التي عبّرت عن أُخوّته الصّادقة .

أما بخصوص النصائح النافعة التي أبداها الأخ الفاضل فنقول حولها :

أولاً : بخصوص الأسرة فالموضوع جدير بالاهتمام، وأسرة تحرير **الأصالة** قد نشرت في العدد الماضي، - وكذا في هذا العدد - مقالاً حول الموضوع .

وسترى أيُّها الأخ الودود في الأعدادِ القادمةِ عنايةً خاصّةً - إن شاء الله - بالنّشْءِ الإسلاميّ الذي هو عِمادُ الأمّة وجَذرُها .

ثانياً : وأما عن تنويع الكُتّاب فقد أعلنّا في العدد الأوّل والثّاني - وكذا في سائر الأعداد اللاحقة إن شاء الله - عن ترحيبنا بمشاركات الأخوة طلبة العلم والمشايخ .

وبهذه المناسبة ندعوك يا أستاذ عبداللّطيف للمشاركة بمقالاتك، وسنعمل على نشرها، وجزاك الله خيراً .

ثالثاً : وأمّا توطيد العلاقة بالمنابر الإعلاميّة فهذه أيدينا مفتوحة للجميع، و« **الأصالة** » **منبر لكل مسلمٍ موحِّد متبع لمنهج السلف الصّالح**، ولن نتردّد في التعاون والتناصح مع أي مخلص من المسلمين، وشكراً لكم، مع تحيات أسرة **الأصالة** للجميع .

مسك الختام

عِلْمُ الدَّاعيةِ ... لا ثقافَتُه !!

التحرير

مِمَّا لا يخفى على نبيهٍ أنَّ بينَ (العلمِ) و (الثقافة) خصوصاً وعموماً؛ فكلُّ علمٍ ثقافةٌ، وليست كلُّ ثقافةٍ علماً !

والواجبُ على الداعية المسلمِ أن يَعلُوَ على الثَّقافةِ ... فلا يبقى منحصراً فيها ... منتظراً مُحاضرة يسمعُها ... أو مجلّة يقرؤها ... أو صحيفةً يُقلّبُها ... لأنَّ هذا كُلّه (شؤون ثقافيّة) لا تصنعُ داعيةَ طالبَ علمٍ يُواجهُ الأفكارَ المنحرفةَ بشتَّى أنواعها، وعلى سائر ألوانها .

فعلى الدَّاعيةِ المُسلمِ أن يحرصَ على العلمِ النافع ... تأصيلاً، وتقعيداً، حتى يكونَ هو نفسُه بعيداً عن الشبهات المنحرفة، والشهواتِ الضالَّة التي إن لم يُواجهها عبدٌ موفَّقٌ (طالبُ علمٍ) أوْدَت به إلى مَهَاوي الهَلَكَة .

ولا يكونُ هذا التَّأصيلُ والتقعيدُ إلّا بالجُثيِّ بينَ يَدَي العُلَماء الربانيين ... ومُزاحمتهم بالرُّكَب ... ومُذاكرةِ طُلّاب العلمِ الناصحين ... والنَّظَر الفاحص في كُتُب العُلماء المُعتَدّ بعلمهم ومنهجهم من السابقين واللاحقين، حتى يستقيم طالبُ العلمِ الداعيةُ - أو الداعيةُ طالبُ العلمِ - على الجادَّةِ؛ جادَّة العلمِ، وجادَّة المنهج والتصوُّر .

فلو أنَّ دُعاةَ الإسلام - على تنوُّع مراتبهم؛ شهرةً ودعوةً - التزموا بمنهج العلم الشرعيِّ الأصيل، بعيداً عن المنهج الثقافيِّ المعاصر - بصوره الباهتةِ هذه - لكانوا - حقّاً - شَجىً في حُلوقِ أعداءِ الأمَّةِ مِن كُفَّار ومرتدِّين، وسيفاً مُصْلَتاً على مناهج المنحرفين .

ولا يمنعنَّ هذا المنهجُ العلميُّ أحداً مِن الدُّعاة مِن أن ينظرَ في (نافلةٍ) وقتِه في شيءٍ من صور الثقافةِ المعاصرةِ هذه ... حتى يعرفَ ... ويرى ... ويتابع ... ولكن ... لِتَكُن هذه الصُّوَر هيَ التابعةَ ... وليست الأساسَ ... فالأساسُ علمُ الدَّاعيةِ ... لا ثقافته .

أخــي الـقــارىء :

تـقـرأُ فـي الأعـدادِ الـقـادمـةِ – إن شـاءَ اللّـهُ – الأبـوابَ الـتّـالـيـةَ :

- صفحاتٌ في النّقدِ الذّاتي .
- أضواءٌ على مناهجِ الفِرَقِ المُنحرفة .
- ردودٌ ... وتَنبيهاتٌ .
- كتابٌ مفتوحٌ إلى ...
- قضيّةٌ للمشاركةِ والبحث .
- رُكن الطّفل المسلم .
- اقتصاديّاتٌ إسلاميّة .
- نَظَراتٌ في واقعِ العَمَلِ الإسلاميّ .
- حِوارٌ مَعَ عالِمٍ .